الزواج الرابع للأمبراطور ليو السادس

(٨٨٦ - ٩١٢م)

الأبعاد الدينية والدلالة السياسية

دكتور
وسام عبد العزيز فرج
قسم التاريخ - جامعة المنصورة

١٩٩١م - ١٤١٠هـ





دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣


khatab
khatab



الزواج الرابع للامبراطور ليــو الســادس



الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس

(٨٨٦ - ٩١٢)

الأبعاد الدينية والدلالة السياسية

تأليف

وسام عبد العزيز فرج

قسم التاريخ - جامعة المنصورة

١٩٩١

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة

الإسكندرية







مقدمة

ليس الغرض من تصنيف هذا المؤلف أن أضيف كتابا آخر فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية الى ماهو موجود منها من قبل ، وانما الغرض الذى أبغيه هو طرح قضية من قضايا التاريخ الاجتماعى وأشكالية من اشكالياته وتناولها بمنهج يتجاوز الوصف الى البحث الدقيق فى جذورها، والتحليل الموضوعى لأبعادها ، واستخلاص دلالاتها • والقضية المطروحة هنا هى الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس المعروف بليو العاقل (٨٨٦ — ٩١٢م) وما اثارته من نزاع وخلاف فى مطلع القرن العاشر الميلادى فى الدولة البيزنطية • واذا كان الخلاف قد احتدم حول هذه القضية بين الكنيسة والقصر وأحدث انقساما فى الكنيسة البيزنطية ، فيجب الا ننسى أيضا أن مسألة الزواج للمرة الرابعة كانت من تجاوزات السلوك الاجتماعى والأخلاقى المتعارف عليه فى بيزنطة وأثارت نقاشا وجدلا واسعا واستأثرت باهتمام الجموع العريضة فى المجتمع البيزنطى•

ويحتوى هذا الكتاب على تسعة فصول صغيرة فضـــلا عن تمهيد وخاتمة مستوفية الحـــواشى • ويتناول التمهيد ظروف اعتلاء كل من الامبراطور ليو السادس العرش البيزنطى ، ونيقولا مستيكوس كرسى بطريركية القسطنطينية ، وهما الشخصيتان الرئيسيتان فى هذه الدراسة• أما الفصل الأول فيتناول مفهوم الزواج فى بيزنطة وموقف الكنيسة من مشروعية تكراره ، وفيه يتضح اختلاف وجهتى نظر كنيستى القسطنطينية وروما بالنسبة لعدد مرات الزواج التى تتسامح فيها كل منهما • ويتناول الفصل الثانى حياة الامبراطور ليو السادس الخاصة وزيجاته السابقة التى انتهت بوفاة زوجاته الثلاث على التوالى ، وظروف زواجه الرابع

الذى فجر الأزمة وآثار الخلاف • أما بقية الفصول من الثالث الى التاسع فتعالج بالتحليل الموضوعى أبعاد الأزمة ومراحلها وتداعياتها فى الداخل والخارج والدور البارز الذى لعبه البطريرك نيقولا مستيكوس فيها • أما الخاتمة فتتناول الدلالة السياسية لقضية الزواج الرابع وما تعكسه من طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة فى بيزنطة •

وقد اعتمدت فى هذا الكتاب على كل المصادر التاريخية المعاصرة التى توفرت لى • فتتبعت تشريعات الزواج فى القوانين الكنسية ومجموعات القوانين المدنية التى صدرت منذ عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ــ ٤٥٠م) وحتى عهد الامبراطور ليو السادس فى مطلع القرن العاشر الميلادى • ورسائل البطريرك نيقولا مستيكوس الوافرة وكتابات ارثاس أسقف قيصرية التى تتضمن رسائله وخطبه ومراثيه • وتراجم حياة وسير الامبراطورة ثيوفانو (الزوجة الاولى للامبراطور ليو السادس) ، والبطريرك انطون كلولياس ، والبطريرك ايثيميوس • والمؤلفات العقيدية والحوليات البيزنطية التى تناولت أحداث الربع الأول من القرن العاشر الميلادى ، وكتابات الامبراطور قسطنطين السابع ابن ليو السادس وخاصة كتابه الخاص بمراسم القصور • وبالاضافة الى ذلك رجعت الى مجموعة ضخمة من المراجع والدراسات الاوروبية المتخصصة على اختلاف لغاتها والتى تعد على جانب كبير من الأهمية ، كما طالعت العدد القليل من الدراسات العربية والمعربة التى أشارت الى موضوع هذه الدراسة •

هذا ، وقد تم جمع وتنسيق هذه الدراسة ومصادرها خلال زيارتى العلمية لجامعتى ميونخ وبرلين الحرة فى جمهورية ألمانيا الاتحادية فى صيف سنة ١٩٨٩ م• ويسرنى أن أتقدم بالشكر لمؤسسة الكسندر فون همبولدت Alexander von Humboldt لما قدمته من دعم وتسهيلات ورعاية وتشجيع طوال فترة الزيارة التى استغرقت ثلاثة أشهر • كما ينبغى أن أشير بمزيد من الامتنان والشكر للاستاذين الفاضلين الاستاذ الدكتور

بول شبك Paul Speck أستاذ كرسى التاريخ والحضارة البيزنطية ومدير معهد الدراسات البيزنطية بجامعة برلين ، والاستاذ الدكتور ارمين هولفج Armin Hohlweg مدير معهد الدراسات البيزنطية فى جامعة ميونخ ورئيس تحرير دورية Byzantinische Zeitschrift لما قدماه من معاونة صادقة فى تيسير الحصول على وثائق هذه الدراسة ٠

لقد حاولت جهدى أن أكون موضوعيا فى تناول هذه المادة التاريخية الوفيرة وأن أقدم طرحا نقديا واضحا وموثقا فى كل صغيرة وكبيرة ٠ واتبعت فى حواشى هذه الدراسة وفى قائمة المصادر والمراجع نظام المختصرات الحديث الخاص بالدراسات البيزنطية والذى صدر بخصوصه دليل تم نشره فى دورية Dumbarton Oaks Papers العددين ٢٦ (١٩٧٢م) ، ٢٧ (١٩٧٣م) ٠ وأرجو أن أكون قد وفقت فى اضافة لبنة متواضعة الى التاريخ الاجتماعى للدولة البيزنطية ٠ وأن تكون هذه الدراسة اسهامة فى اثراء المكتبة العربية التى مازالت تحتاج الى جهود الباحثين المخلصين فى حقل الدراسات البيزنطية ٠

وتجدر الاشارة الى أن هذه الدراسة كان من المفروض أن تظهر فى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت فى خريف ١٩٩٠م ، ولكن اندلاع أزمة الخليج حال دون ذلك مما دفعنى الى التعجيل بنشرها حفاظا على حقوق التأليف من عبث العابثين ٠

والآن ٠٠٠ يسعدنى أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى ، عرفانا واعزازا ، لأساتذتى وزملائى وأصدقائى فى مصر والكويت وبريطانيا وألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة الامريكية لجميل رعايتهم ودوام تشجيعهم ٠ وأخص بالشكر جامعة الكويت التى لم تبخل على البحث

العلمى وأخص دائما بدعمه فتحملت نفقات سفرى لحضور مؤتمرين علميين الأول فى مارس ١٩٨٩م فى برمنجهام بالمملكة المتحدة ، والثانى فى أكتوبر ١٩٨٩م فى امهرست — ماساتشوستس بالولايات المتحدة الامريكية .

والله أسأل أن يوفقنا سواء السبيل ...

وسام عبد العزيز فرج
جليم — الاسكندرية اول اكتوبر ١٩٩٠م

تمهيد

واجهت النهضة التى بدأها الامبراطور باسيل الاول المقدونى (٨٦٧ ـــ ٨٨٦م) اختبارا صعبا فى السنوات الأخيرة من القـــرن التاســـع الميلادى ، فلم يكن عهد خلفه الامبراطور ليو السادس (٨٨٦ ـــ ٩١٢م) عهد استقرار فى الداخل أو انتصارات بارزة فى الخارج، لقد كانت حياته الخاصة مليئة بالهموم ، كما شهد عهده عددا من الكوارث العسكرية فى البر والبحر خلال حروبه ضد البلغار والمسلمين • وزاد من تعقيد الموقف الخـــلاف العنيف بين الامبراطور وكنيســة القسطنطينية بسبب اصراره على انجاب وريث ذكر يتولى العرش من بعـــده ، واضطراره الزواج للمرة الرابعة منتهكا بذلك الأعراف والقوانين الكنسية والمدنية على حد سواء، لقد ادى النزاع بين القصر والكنيسة الى القضاء على سلام قصير العمر داخل الكنيسة البيزنطية كما فتح البـــاب من جديد أمام تدخل كنيسة روما •

من الأفضل أن نعود الى باسيل المقدونى • المعروف أنه قتل سيده الامبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٣ ـــ ٨٦٧م) ، ونجح فى اعتلاء العرش فى ٢٣ من سبتمبر ٨٦٧م ، وامتد حكمه حتى ٢٩ من أغسطس سنة ٨٨٦م مؤسسا بذلك الأسرة المقدونية ، التى امتد حكمهـــا حتى سنة ١٠٥٦م والتى عاشت الامبراطورية فى ظلهـــا عصرها الذهبى • أنجب باسيل المقدونى أربعة أبناء : قسطنطين من زوجته الأولى قبل التحاقه بخدمة سيده الامبراطور ميخائيل الثالث ، وثلاثة أبناء : ليو واسكندر وستفن بعد زواجه من ايدوكيا انجرينا Eudocia Ingerina ، محظية الامبراطور السابق ميخائيل الثالث • ومن أجل ضمان تعـــاقب الأبناء من بعـــده

واستمرار حكم أسرته ، قام الامبراطور باسيل بتتويج ثلاثة من أبنائه أباطرة مشاركين ، ففي ٦ من يناير سنة ٨٦٩م توج ابنه الأكبر والمفضل قسطنطين ، وبعد ذلك بعام توج ابنه الثاني ليو ، وفي ٨٧٩م تم تتويج ابنه الثالث اسكندر(١) . أما ستفن أصغر الأبناء فقد اختار له مسارا آخر بالانخراط في سلك رجال الدين وقدر له أن يشغل بعد ذلك منصب بطريرك كنيسة القسطنطينية كما سيتضح فيما بعد . على أية حال ، لم يقدر للابن الأكبر قسطنطين أن يتولى العــرش اذ توفي في حياة أبيه مفسحا المجال أمام ليو الذي اعتلى العرش في ٣٠ من أغسطس ٨٨٦م ، وهو في العشرين من عمره تقريبا ، باسم ليو السادس وعرف بالعاقل أو الفيلسوف(٢) .

عندما توفي الامبراطور باسيل المقدوني ، كان الانقسام في الكنيسة البيزنطيــة ، بين المتشددين من أنصار البطــريرك السابق اجناتيوس Ignatios والمعتدلين من أنصار البطريرك فوتيوس photios ، لا يزال قائما . ورغم قيام الامبراطور ليو الســادس في بداية عهده بعــزل فوتيوس،فان تعيين أخيه الأصغر ستفن بطريركا لكنيسة القسطنطينية في ديسمبر سنة ٨٨٦م لم يؤد الى استرضاء الحزب المتشدد الذي رفض قبول البطريرك الجديد ، الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمــره ، لأن فوتيوس هو الذي رسمه شماسا(٣) . ورغم اختلاف المؤرخين في أسباب عزل البطريرك القوى فوتيوس للمرة الثانية فمن المرجح أن ليو السادس عزله ليفسح الطريق أمام تعيين أخيه الأصغر ستفن على رأس الكنيسة البيزنطية لتكتمل بذلك سيطرة الامبراطور على شئون الكنيسة والدولة معــا(٤) . ولكن البطريرك ستفن لم يعمر طويلا ، اذ توفي في مايو سنة ٨٩٣م ، وفي أغسطس من نفس العام اعتلى انطون الثــاني كاولياس Anthony II Kauleas عرش بطريركية القسطنطينية . ويبدو أن البطريرك الجديد كان مقبولا من الأطراف المتنازعة داخل الكنيسة ، فبفضل مساعيه الحميدة فضــلا عن مساعي الامبراطور تمت المصالحة

أخيرا بين المتشددين والمعتدلين في الكنيسة البيزنطية ، وباركتها البابوية حوالي سنة ٩٠٠م(٥) . وهكذا عندما أعتلى البطريرك نيقولا مستيكوس Nicholas Mysticos عرش بطريركية القسطنطينية سنة ٩٠١م ، عقب وفاة كاولياس ، كان السلام يسود ربوع الكنيسة البيزنطية .

عاش نيقولا مستيكوس الجزء الأكبر من حياته خلال النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي ، أي خلال فترة الانقسام والخلاف في الكنيسة البيزنطية . فقد ولد في سنة ٨٥٢م ، وتروى المصادر أنه كان من أصل ايطالي،كما كان يمت بصلة قرابة للبطريرك الشهير فوتيوس(٦) . ويبدو أن ارتباطه به كان كبيرا فهو يشير في احدى رسائله الى أن فوتيوس كان أبا روحيا له(٧) . ومن المرجح أن فوتيوس بعد اعتلائه عرش بطريركية القسطنطينية للمرة الثانية سنة ٨٧٧م ، عقب وفاة اجناتيوس ، قد أصبح أيضا أبا روحيا لأبناء الامبراطور باسيل الأول (وخاصة لابنه الأوسط ليو)(٨) .ومن خلال أبوة فوتيوس الروحية لكل من نيقولا وليو ارتبط الاثنان بأخوة روحية أشارت اليها المصادر(٩) . كما كان فوتيوس معلما لهما . فقد عهد باسيل الأول لفوتيوس منذ سنة ٨٧٥م تقريبا بتعليم أولاده ، ولما كان نيقولا تلميذا لفوتيوس ، فقد تعرف على الأسرة الامبراطورية وأقام علاقة طيبة بالابن الثاني ليو . ومن خلال تدريس فوتيوس لهما أصبحا أيضا زميلي دراسة رغم فارق السن بينهما(١٠) . وأثبتت الأحداث أن هذه الصلة المبكرة بين نيقولا وليو (الذي ارتقى العرش بعد ذلك باسم الامبراطور ليو السادس) كانت السبب في صعود نجم نيقولا فيما بعد .

لا تذكر المصادر شيئا عن الوظائف التي شغلها نيقولا خلال بطريركية فوتيوس الثانية (٨٧٧ — ٨٨٦م) . على أية حال ، أثار العزل المفاجيء للبطريرك فوتيوس في سبتمبر ٨٨٦م ، وما أعقبه من حركة تطهير واضطهاد بين أنصاره وأصدقائه وأقاربه فزع نيقولا ، فلجأ الى

دير القديس تريفون St. Tryphon فى خلقدونية حيث اتخذ حياة الرهبنة[11] • ولكن فترة اعتزاله الاختيارية فى الدير لم تستمر طويلا ، فقد استدعاه الامبراطور ليو السادس فى صيف ٨٨٨م وقام بتعيينه سكرتيرا خاصا له وأسبغ عليه اللقب الرسمى الدال على تلك الوظيفة ، صتيكوس Mysticos ، وهو لقب لازم اسمه حتى نهاية حياته[12] • وكان التعاون والثقة المتبادلة بين الامبراطور وسكرتيره الخاص عقيدة بالنسبة للآخر • فعندما توفى البطريرك أنطون الثانى كاولياس فى ١٢ من فبراير سنة ٩٠١م ، حرص الامبراطور على أن يتولى نيقولا مستيكوس عرش بطريركية القسطنطينية فى أول مارس من نفس العام[13] •

لا شك فى أن نيقولا كان يتمتع بعدة مواهب أهلته بجدارة لشغل هذا المنصب الرفيع على رأس الكنيسة البيزنطية • لقد نال بفضل انتمائه لدائرة فوتيوس الثقافية أفضل تعليم معروف فى ذلك الوقت ، فكان رجلا مثقفا وخطيبا مفوها ، كما تكشف مراسلاته الواسعة عن سعة علمه ومهارته فى الفنون والآداب وخاصة البلاغة • لقد أجمع معظم معاصريه على امتداح حكمته وفضائل أخلاقه وتمسكه الشديد بتعاليم الكنيسة[14] •

لعب نيقولا مستيكوس دورا رئيسيا فى النزاع بين الكنيسة والقصر حول قضية الزواج الرابع Tetragamy للامبراطور ليو العاقل • وقبل أن نتناول هذه القضية بالبحث ودوره فيها ، فمن الأفضل أن نبدأ ببيان مفهوم الزواج وموقف كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما من مشروعية تكراره •

حواشى التمهيـــد

١ ـ Grumel, **La Chronologie**, p. 357; Mango, **Homilies of Photius**, p. 179; Underwood and Hawkins, **Emperor Alexander**, p. 193; Ostrogorsky, **State**, p. 233.

وانظر أيضا :

Adontz, **L'Oraison Funèbre**, pp. 501-513.

٢ ـ توفى قسطنطين الابن الاكبر لباسيل المقدونى ، على الارجح فى ٣ من سبتمبر سنة ٨٧٩م ، انظر :

Halkin, **Trois Dates**, pp. 14-17; Mango, **Homilies of Photius**, p. 179.

أما ليو السادس فيبدو أنه ولد فى سبتمبر سنة ٨٦٦م ، فهو يذكر فى خطبة تابين باسيل المقدونى (غالبا فى أغسطس سنة ٨٨٨م) من عمره كان اثنين وعشرين عاما - وعلى هذا كان ليـو فى العشرين من عمره عند اعتـلائه العرش - ويميل معظم المؤرخين الآن الى تاكيد أن ليو السادس كان ابنا حقيقيا لباسيل المقدونى - للمزيد عن تاريخ ميلاد ليو الســادس وحقيقة انتسابه لباسيل المقدونى ، انظر :

Grumel, **Notes**, pp. 331-333; Adontz, **L'Oraison Funèbre**, pp. 503-513; Vogt, **Léon VI**, p. 389, n. 1.

ويعتبر ليو السادس هو الامبراطور البيزنطى الوحيد الذى عرف بالعاقل أو الفيلسوف **Philosophos** وهو لقب حمـله خلال حيـاته بسبب الكتـابات العديدة والمتنوعة التى سجلها قلمه من خطب ومواعظ دينية ، ومؤلفات ادبية ، وقوانين - ولا شك أن سعة علمه وثقافته ترجع الى تلقيه العـلم على يد العالم البطريرك فوتيوس ، انظر :

Ostrogorsky, **State**, P. 242; Vogt, **Léon VI**, pp. 403-428; Petit, **Homélies de Léon le Sage** pp. 245-249; Serruys, **Homelies de Léon le Sage**, pp. 167-170.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم فى سياستهم وحضارتهم ، ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب** (دار الكشوف ، بيروت ١٩٥٦م) جـ ٢ ، ص ١٤ -

٣ ـ يبـــدو أن الاسقف ستيليانوس **Stylianus** أحد أقطاب الجناح

المتشددة داخل الكنيسة البيزنطية قد أرسل فى طلب الفتوى من البابا ستفن السادس Stephen VI (٨٨٥ ـ ٨٩١م) . وجاء فى رد البابا أنه يصعب عليه الحكم فى هذه المسألة دون معلومات كافية ، انظر :

Stephani Papae VI. Epistolae, Ep. IV, Cols. 795B-796C.

للمزيد عن عزل فوتيوس وتنصيب ستفن ، انظر :

Theoph. Cont., p. 354; **Sym. Mag.**, p. 700; **G. Mon. Cont.**, pp. 848-849; **Vita Euthymii**, pp. 11, 162; Ficher, **De Patriarcharum**, p. 292; Grumel, **La Chronologie**, p. 436; Grumel, **Les Regestes**, p. 130.

وانظر أيضا :

عبد الرحمن عبد الغنى : «فوتيوس والقطيعة بين كنيستى روما والقسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى» ، عالم الفكر ، المجلد ١٧ ، العدد ٣ ص ٨٢٨ .

٤ ـ Ostrogorsky, **State**, p. 241, n. 4.

وقارن أيضا :

Dvornik, **Photian Schism**, pp. 241-243; White, **Patriarch Photios**, pp. 36-37.

٥ ـ انظر :

Vita Euthymii, pp. 65, 186-188; **Vita Antonii**, p. 626.

وعن قيام البابوية بإرسال مبعوثين الى القسطنطينية لمباركة هذا الوفاق ، انظر الاشارة الواردة فى قائمة فيلوثيوس Philotheos التى نشرها بيورى Bury فى :

Bury, **Admin. System**, p. 155.

وانظر أيضا :

Dvornik, **Photian Schism**, pp. 262-271; Dvornik, **Second Schism**, p. 471; Maas, **Der Interpolator**, pp. 257-261.

٦ ـ للمزيد عن مولد نيقولا مستيكوس وأصله الايطالى ، انظر :

Fischer, **De Patriarcharum**, p. 293; Constantinides, **Nikolaos he Mystikòs**, p. 35; **Ephraemius, p. 402.**

أما عن صلة القرابة التى ربطته بفوتيوس ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 11, 163.

ويرى جنكنز أن نيقولا ولد من جارية ايطالية فى بيت فوتيوس لأن معنى كلمة Oikogenes الواردة فى سيرة ايثيميوس لا تعنى القريب بل التابع المرتبط بالأسرة ، انظر :

Jenkins, **Nicholas Mysticus**, p. 146.

٧ ــ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 2, p. 12.

٨ ــ Jenkins, **Nicholas Mysticus**, p. 146.

٩ ــ **Vita Euthymii**, p. 11.

١٠ ــ **Vita Euthymii**, pp. 11, 85, 164; Jenkins, **Nicholas Mysticus**, p. 147.

كما أشار البطريرك نيقولا مستيكوس الى الامبراطور ليو السادس فى احدى رسائله باعتباره صديقا ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 218.

١١ ــ **Vita Euthymii**, p. 11.

١٢ ــ طبقا لرواية صاحب سيرة ايثيميوس ، قام الامبراطور ليو السادس باستدعاء نيقولا من الدير وعينه فى وظيفة مستيكوس Mysticus أى «سكرتير خاص» لأنهما كانا زميلى دراسة وارتبطا بأخوة روحية ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 11, 166.

ومن المحتمل أن تكون هذه الوظيفة بهذا اللقب قد ظهرت فى القرن التاسع الميلادى . ويرى البعض أن المستيكوس كان سكرتيرا خاصا للامبراطور ، انظر :

Bréhier, **Institutions**, p. 167.

بينما يرى البعض الآخر أنه كان سكرتيرا خاصا للبطريرك ، انظر :

Guilland, Les Noces, p. 14.

علـى أية حال ، فى حالة نيقـولا ، تؤكد المصـادر أنه كان مسـتيكوس للامبراطور Mystikòs ón Toû Basileos انظر :

G. Mon. Cont. p. 860; **Leo Gramm.,** pp. 273-274.

١٣ ـ Fischer, **De Patriarcharum**, p. 292; **Grumel**, **Les Regestes**, no. 598, p. 133; Grumel, **La Chronologie**, p. 436; Vogt, **Patriarches de Constantinople**, p. 277.

ويلاحظ أن جريجوار ورانسيمان لا يوافقـان على هذا التاريخ ، فالأول يحدد سنة ٨٩٩م تاريخا لاعتـلاء نيقولا عرش البطريركية ، بينما يحدد الثانى سنة ٩٠٢م ، انظر :

Grégoire, **Neuvième Siècle**, pp. 540-550; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 42

١٤ ـ **Theoph. Cont.**, p. 364.

وانظر أيضا ، كلمات الاطراء التى ذكرها أرثاس Arethas المتحـدث الرسـمى فى القصر أمام الامبراطور بمناسبة تعيين نيقـولا بطريركا سنة ٩٠١م ، ومرة أخرى فى الاحتفال بمرور عام على هذا التعيين :

Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 17, 37.



الزواج فى بيزنطة وموقف الكنيسة من مشروعية تكراره



كان الزواج في القانون الروماني عبارة عن تعاقد بين رجل وامرأة أساسه الاتفاق فاذا وقع الاتفاق انعقـد الزواج ، سواء اتبع ذلك الاحتفـالات المعتادة أم لا[1] ، وكانت قراءة بنـود العقد تتم يوم الزواج ، ويتم التوقيع عليه من قبل طرفيه ثم الشهود[2] ، كذلك كان وقوع الاختلاف يعد أساس الغاء التعاقد وحدوث الطـلاق ، وكان فسخ عقد الزواج شأنا خاصا وفي امكان أي طرف من طرفيه أن يفعل ذلك متى شاء دون ابداء السبب[3] ، وبطبيعة الحال ، كانت وفاة أحد الزوجين تعني أن عقد الزواج أصبح لاغيا ، وهكذا كان الطلاق والزواج مرة أخرى أو أكثر من الظواهر الشـائعة في العصر الروماني[4] .

ثم جـاءت المسيحية بصورة مثالية للزواج ، اذ اعتبرته ارتباطا ومشاركة روحية لا انفصام لها ، فلا يملك الانسـان ، من الناحيـة النظرية ، أن يفسخ تلك العلاقة لأن ارادة الله كانت متوافقة مع ارادة الرجل والمرأة عند انعقاد طقس الزواج ، ولقد شبه القديس بولس ارتباط الزوج بزوجه بذلك الارتباط القائم بين السيد المسيح ــ عليه السلام ــ والكنيسة ، وعلى هذا فالزواج ارتباط مقدس لأنه تقـرر بمشيئة الله ومبـاركته ، كما أنه ارتبـاط دائم لا انفصـام له لأنه مقدس[5] ، ولما كان الغرض الأساسي للزواج في مفهـوم الكنيسة البيزنطية تحقيق التكامل الروحي والمعنوي لطرفيه ، فلا انفصام لهذا الارتباط حتى لو قضى الموت على أحد طرفيه ، لأنهما كيـان واحد في الأرض وفي السماء ، أما كنيسة روما فقد اختلف مفهومها لأبدية العلاقة الزوجية ، اذ كانت ترى أن رباط الزواج المقدس دائم لا انفصام له طالما استمر طرفاه على قيد الحياة فقط[6] ، وعلى أساس هذا التصور

المثالى للزواج قامت الكنيسة باصدار عدد من القوانين الكنسية فى سعيها لتوضيح وتنظيم الزواج[٧] .

أما الدول البيزنطية ــ التى ورثت القانون الرومانى فضــلا عن العديد من النظم والتقاليد الرومانية ــ فقد نظرت الى الزواج كعقد ، ولم يقم أباطرة العصر البيزنطى المبكر بالغاء الطــلاق . فالامبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٦ ــ ٣٣٧م) أباح الطلاق فى حالات معينة مثــل الخيانة الزوجية وارتكاب جريمة القتل[٨] . كذلك أباحت تشريعــات الامبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ ــ ٥٦٥م)الطــلاق فى حالات الخيانة الزوجية وجرائم القتــل والوقوع فى الأسر وازدراء المقدسات واختيار حياة الرهبنة ... الخ[٩] . وكان جستنيان أول من اعترف بالعجز كسبب كاف للطلاق لأن عدم الأهلية يمنــع اكتمــال الزواج[١٠] . ولا شك فى أن الكنيسة البيزنطية كان لها تأثير كبير فى تقييد تشريعات الطلاق سابقة الذكر ، اذ نجحت مثلا فى تحريم الطلاق بالاتفاق المشترك كما ورد فى تشريعات جستنيان[١١] . وعلى أية حال، بسبب طبيعة العلاقة الخــاصة بين الدولة والكنيسة فى بيزنطة ، ولأن الكنيسة جزء من الدولة وتخضع لتوجهاتها ، كانت القوانين التى تتناول السلوك العام والقوانين ذات الطــابع الدينى التى تصدرها الحكومة البيزنطية ملزمة للكنيســة[١٢] . ورغم أن الكنيسة البيزنطية التزمت بتشريعات الدولة التى أباحت الطلاق فى حالات معينة ، فان هذا الالتزام كان مناقضا لمبادئها ، وظل الارتباط الأبدى للزوجين هو الزواج المثالى فى نظرها[١٣] .

نظرت الكنيسة البيزنطية الى الحالات التى أباحت فيهــا القوانين المدنية الطلاق كحالات تطلبت التسامح والرحمة بسبب الضعف الانسانى على اعتبار أن الغرض من تلك القوانين هو تجنب شرور لاحقة . لقد اعتبرتها استثناءات لا تلغى القوانين الكنسية[١٤] . ويخطىء من يظن أن الكنيسة البيزنطية كانت تمنح الطلاق . فالطــلاق كان من شئون

القانون المدني ولم يكن للكنيسة أي ارتباط مباشر به الا عندما تثـــار مسألة الزواج مرة أخرى[١٥] • وكان مناسبا أن تهتم الكنيسة بتكرار الزواج بشكل أكبر من اهتمامها بالطلاق ، لأنه عند تكرار الزواج تثار مسألة قدسية الزواج الأول وعدم انقطاعه •

ظل الزواج الأول في نظر الكنيسة البيزنطية هو الرباط المقـــدس والعلاقة المثالية وكان كل زواج بعده مكروها بغض النظر عن الأسباب التي أدت الى انفصام عرى الزواج الأول • وجدير بالذكر انه لايوجد في الكتاب المقدس أي حكم للسيد المسيح ـ عليه السلام ـ بالنسبة للزواج للمرة الثانية ، ومن هنا جاء الاعتقاد بأنه لم يكن محـــرما[١٦] • ولكن القديس بولس أوضح المسألة عندما أجاز للأرامل في حالات الضرورة الزواج مرة ثانية ، وأصبح حكمه القاعدة التي تستند عليها الكنيسة[١٧]• ورغم أن الكنيسة لم تحبذ أي زواج بعد الأول الا أنها نظـــرت الى الزواج الثاني نظرة تسامح وعفو وكبديل أفضل من ارتكاب الخطيئة •

ولما كان الزواج للمرة الثانية يعد تعبـــيرا عن الافتقار الى ضبط النفس ، فقد فرضت الكنيسة البيزنطية الحرمان على كل من يتزوج مرة ثانية[١٨] • موكانت العقوبة تعني حرمان من ينالها من طقوس الكنيسة وخاصة من القداس الديني • وكان الحرمان في هذه الحــــالة يستهدف تهذيب النفس والتكفير عن ذنب العجز عن كبح جماح الشهوات بقضاء بمض الوقت في صلاة وصوم قبل العودة الى رحمة الكنيسة • واذا كان القديس باسيل St. Basil قد اعتبر الزواج الثاني عزاء عن ارتكاب الخطيئة ، فقد حدد فترة الحرمان بسنة واحدة • وأصبح حكمه بعـــد ذلك تقليدا متبعا في الكنيسة البيزنطية[١٩] • وعلى خلاف الزواج الأول تمـــيز طقس الزواج الثاني بترديد عـــبارات التوبة وطلب العفـــو والرحمة[٢٠] •

وبطبيعة الحال كان موقف الكنيسة البيزنطية من الزواج الثالث

أكثر صرامة • وسواء كان الطلاق أو كانت الوفاة هي التي أنهت الزواج الثاني فقد نظرت الكنيسة الى الزواج الثالث باحتقار • فالقديس باسيل St. Basil اعتبره مشينا ومخالفا للقـوانين الكنسية ولكنه لم يصـدر حكما بتحريمه لأنه أفضل من ارتكاب الخطيئة ، وحدد فترة للحرمان لكل من يتزوج للمرة الثالثة بخمس سنوات[31] • وكان طقس الزواج الثالث في البداية مبتورا لا يتمتع صاحبه بالتتويج أو المباركة المتادة، ولكن بصدور القانون رقم (٨٩) للامبراطور ليو السادس والذى ينص على أن شرعية الزواج أصبحت تستلزم مباركة الكنيسة تغير الموقف • وأصبحت الكنيسة مطالبة بمبـاركة الزواج الثاني والزواج الثـالث لاكسابهما الشرعية • فاضطرت الى ابتكار طقس مستقل وقصـير لهما تتم فيه المباركة والتتويج[32] • وهكذا سمحت الكنيسـة البيزنطية بالزواج الثاني بل وتسامحت في الزواج الثالث في اطار مفهومها للتسامح والرحمة • ويجب النظر الى هذا التسـامح على أنه الاستثناء وليس القاعدة • وكان كل زواج بعد الزواج الثالث محرما ولا يمكن لعقوبة الحرمان ، مهما كانت مدتها أن تجمل مثل هذا الزواج معترفا به •

يبدو أن الزواج الرابع لم يرد على الكنيسة في البداية • فحتى بداية القرن العاشر الميلادى لم يوجد قانون كنسى واضح متفق عليه ينص على تحريمه[33] • فلم تكن هناك حاجة لمثل هذا القانون لأن أحدا لم يقم حتى ذلك الوقت بارتكاب تلك المخالفة • وعلى عكس ذلك نجد أن القوانين المدنية التى أصدرتها الدولة قد أشارت الى الزواج الرابع ونصت على تحريمه • وكان جستنيان هو الامبراطور الوحيـد الذى اعترف في أحد قوانينه الأولى بالزواج الرابع[34] • ولكن عندما تطرق الى مسألة تكرار مرات الزواج في قوانينه التالية لم يذكر — ربما بتأثير من الكنيسة — سوى الزواج الثاني والثالث دون الاشارة الى الزواج الرابع[35] • بالنسبة لمجمـوعة الاكلوجا Ecloga التى أصـدرها الامبراطور ليو الثالث الايسورى Leo III (٧١٧ — ٧٤١م) في سنة

٧٢٦م ، خلتا تتضمن نصوصا خاصـــة بالزواج الثانى فقط ، وأغفلت الاشارة الى الزواج الثـــالث[٣٦] . أما الامبراطورة ايرين Irene (٧٩٧ – ٨٠٢م) فقد أكدت هذا الاتجاه باقرار تشريعـــات الاكلوجا Ecloga واعتبار كل زواج بعد الزواج الثانى أمرا غير أخلاقى ، وأعلنت فى قانونها رقم (٢٨) الصادر حول سنة ٨٠٠م تحريم الزواج الثالث وكل زواج تال على أساس أنها أمور غريبة على المسيحية[٣٧] . وتتميز تشريعات مؤسس الأسرة المقدونية بأنها كانت متفقة مع موقف الكنيسة من الزواج وتسامحها المحدود فى حالة تكراره . فقد اعترف الامبراطور باسيل الأول فى تشريعاته بالزواج الثالث واعتبره قانونيا بشرط تنفيذ فترة الحرمان المقررة فى القـــانون الكنسى ، ولكنـــه رفض الاعتراف بالزواج الرابع وأنكر شرعية أطفـــاله[٣٨] . كذلك أيد الامبراطور ليو السادس هذا الاتجاه بقوة فى قانونه المعروف رقم (٩٠) . ففى بدايته يذكر ليو السادس كيف خلق الله الانسان وميزه على الحيوان بنعمـــة العقل ، ثم يمتدح عالم الحيوان ، لأن كثيرا من فصائل الحيـــوانات ترفض الارتباط بشريك ثان بعد وفاة الشريك الأول . ويمضى قائلا ان طبيعة البشر جعلت القانون يسمح بزواج ثان ويتسامح فى زواج ثالث ، الا أن معظم من أقدموا على زواج ثالث تجاهلوا فترة الحرمان المقررة . ونتيجة لذلك يقرر الامبراطور فى نهاية قانونه ، أن كل من يعقد زواجا ثالثا يجب أن يخضع لحكم قوانين الكنيسة . ويلاحظ أن ليو السادس تناول فى هذا القانون الزواج الثالث بازدراء ، أما الزواج الرابع فقد أنكره تماما[٣٩] .

يتضح مما سبق أن القوانين المدنية للدولة البيزنطيـــة كانت حتى بداية عهد الامبراطور ليو السادس تؤيد وتؤكد قوانين الكنيسة الخاصة بالزواج والتســـامح المحدود فى حالة تكراره . فحـــدد مرات الزواج المسموح بها بسبب الطلاق أو الوفاة محدد بثلاث ، أما الزواج الرابع

فكان محرما تماما • ومن المفارقات الغريبة أن الامبراطور ليو السادس نفسه كان أول من خالف قانونه سابق الذكر كما سيتضح بعد قليل •

والآن من الأفضل أن نتعرف على وجهة نظر كنيسة روما من مسألة تكرار الزواج لكى نتفهم بوضوح موقف البابوية من القضية موضوع هذه الدراسة • اختلف الغرب الأوروبى عن الشرق البيزنطى فى تصوره للغرض الأساسى من الزواج وديمومة ارتباط الزوجية • فالغرض الرئيسى من الزواج فى الغرب الأوروبى هو تناسل الجنس البشرى[٣٠] • ومنذ البداية تأثرت الكنيسة الغربية بالقانون الرومانى فى نظرته للزواج كتعاقد • وأدرج القانون الكنسى فى الغرب الزواج ضمن العقود التى تتم بموافقة طرفيهـــا على الارتبـــاط[٣١] • وعلى هذا أصبح الزواج المسيحى فى الغرب الأوروبى تعاقدا وطقسا مقدسا يكون فيه القس شاهدا على اتفاق طرفيه[٣٢] • والزواج كتعاقد يتطلب الانعقاد والتصـــديق ويتم هذا باكتماله المادى • وما أن يكتمل الزواج يصبح ارتباطا لا انفصام له الا فى حالة الوفاة • فوفاة أحد طرفيه تعنى انهيار الارتباط تماما • ويصبح من حق الأرمل أو الأرملة الزواج مرة أخرى[٣٣] • وفى ضوء هذا المفهوم يصبح تكرار الزواج بسبب الوفاة بلا حدود • وهكذا يتضح اختلاف وجهتى نظر كنيستى القسطنطينية وروما بالنسبة لعدد مرات الزواج المسموح بها •

حواشي الفصل الأول

١ — Girard, **Droit Romain**, pp. 161.

٢ — انتقل هذا التقليد بعد ذلك للزواج المسيحي ، وأصبح الأسقف عادة أحد الموقعين ، قارن :

Joyce, **Christian Marriage**, pp. 41-43.

٣ — Rivers, **Marriage**, p. 466; Fulton, **Laws of Marriage**, p. 233.

٤ — Picot, **Mariage Romain**, p. 119.

وللمزيد عن الزواج في عصر الامبراطورية الرومانية ، انظر :

Corbett, **Roman Law of Marriage**, pp. 60-68.

٥ — Patrinacos, **Character of Marriage**, pp. 126-132; Meyendorff, **Paschal Mystery**, pp. 11-14; Meyendorff, **Marriage**, pp. 18-24.

٦ — ويتضح هنا أن الكنيسة الغربية نظرت الى الزواج على أنه علاقة تعاقدية تستمر باستمرار طرفيها على قيد الحياة ، انظر :

Meyendorff, **Marriage**, p. 42.

٧ — عن أهمية القوانين الكنسية في هذا المجال ، انظر :

Milas, **Das Kirchenrecht**, pp. 11-12, 61-62.

٨ — **Codex Theodosianus**, III, 16, 1. (Pharr, pp. 76-77).

٩ — **Just. Nov.** 22, Caput 5,6,7,9, pp. 150-152; **Just. Nov.** 117, Caput 8-9, pp. 557-560.

وقارن أيضا :

Codex Justinianus, Code V. 17, 8, pp. 212-213; **Basilicorum**, XXVIII, 7, 1 (Ser. B.), Vol. 5, pp. 1867-1869.

١٠ — **Codex Justinianus**, Code V. 17, 10, p. 213.

١١ — رغم اباحة الطلاق لأسباب متعددة ، فان جستنيان لم يذكر في قائمة الأسباب الطلاق بالاتفاق المشترك ، انظر :

Just. Nov. 117, Caput 10, pp. 560-561.

ولكن الامبراطور جستين الثاني (٥٦٥ ـ ٥٧٨م) اباح في قانونه رقم (٢) الطلاق بالاتفاق المشترك مرة اخرى ، انظر نص هذا القانون في :

JGR (Zepos), I, pp. 4 - 5; **Nomocanon** Tit. 13, ch. 4, p. 298.

وانظر ايضا :

Buckler, **Women in Byz. Law**, pp. 401-402.

وأخيرا نجحت الكنيسة في تحريم الطلاق بالاتفاق المشترك في القرن التاسع الميلادى ، انظر :

Prochiron, Tit. XI, ch. 4, p. 146.

وقارن أيضا :

Basilicorum, XXVIII, 6, 7 (Ser. B.), vol. 5, p. 1872.

١٢ ـ كانت هذه القوانين المدنية التى تصدرها الحكومة البيزنطية تذكر الى جانب القوانين الكنسية في مجموعات القوانين الكنسية المعروفة باسم **Nomocanons** . ومن أشهر مجموعات القانون الكنسى في بيزنطة تلك المجموعة ذات الاربعة عشر فصلا **Nomocanon XIV Titulorum** والتى ظهرت في الربع الاخير من القرن التاسع (حوالى ٨٨٣م) . ويظهر في هذه المجموعة التمييز بين القوانين الكنسية التى تذكر اولا في بداية كل فصل وبين القوانين المدنية التى تتلوها بشكل مختصر ، انظر هذه المجموعة في :

Syntagma (RP), I, pp. 1-335.

وانظر ايضا :

Herman, **Secular Church**, p. 106;

Milas, **Das Kirchenrecht**, pp. 68, 248, 254.

١٣ ـ Zhishman, **Das Eherecht, I**, pp. 218-219.

١٤ ـ Zhishman, **Das Eherecht**, I, p. 219; Pospishil, **Divorce and Re-marriage**, p. 13.

١٥ ـ استمر هذا الوضع حتى القرن العاشر الميلادى على الاقل ، انظر :

Every, **Byzantine Patriarchate**, p. 5, n. 4.

١٦ ـ Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage**, Col. 2063.

١٧ ــ جاء فى رسالة بولس الرسول الاولى الى أهل كورنثا (٧ : ٨ ــ ١١) : «ولكن اقول لغير المتزوجين وللارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا . ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليتزوجوا . لان التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فاوصيهم لا انا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها . وان فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته» .

كما جاء فى رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (٧ : ٢ ــ ٣) : «فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى . ولكن ان مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل . فاذا ما دام الرجل حيا تدعى زانية ان صارت لرجل آخر . ولكن ان مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى انها ليست زانية ان صارت لرجل آخر» .

وانظر أيضا :

Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage, Col.** 2096.

١٨ ــ **Syntagma (RP)**, II, p. 63; III, pp. 171-172.

وانظر أيضا :

Zhishman, **Das Eherecht**, II, pp. 71-73.

١٩ ــ **Syntagma (RP)**, IV, pp. 102-107, 263.

وفى القرن التاسع الميلادى حدد نقفور بطريرك القسطنطينية مدة الحرمان بعامين كاملين ، انظر :

Syntagma (RP), IV, p. 427.

٢٠ ــ Goar, **Euchologion**, pp. 328-331.

وللمزيد عن موقف الكنيسة البيزنطية من الزواج الثانى وطقسه ، انظر :

Zhishman, **Das Eherecht**, II, pp. 76-77; Ritzer, **Le Mariage**, pp. 116, 140; Herman, **Digamos**, p. 467.

٢١ ــ **Syntagma (RP)**, IV, pp. 102, 203-205.

٢٢ ــ Zhishman, **Das Eherecht**, II, pp. 76-77, 138-139;

Buckler, **Women in Byz. Law**, p. 407; Hvery, **Byzantine Patriarchate**, p. 5.

وانظر أيضا :

Meyendorff, Marriage, p. 30; Ritzer, **Le Mariage**, pp. 164, 201-202.

٢٣ ـ ينسب الى نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٦ ـ ٨١٥م) جملة أحكام تنظيمية (نشرها الكاردينال بيترا Pitra في ـ **Iuris Eccles-iastici**, II, pp. 320-348) من بينها حكم بأن الزواج الرابع غير شرعى وحدد لمن يعقده فترة حرمان من رحمة الكنيسة ، انظر :

Iuris Ecclesiastici, p. 340.

ولكن بعض المؤرخين يميل الى الشك في نسبة هذه الأحكام للبطريرك نقفور ، انظر :

Jugie, **Notes**, pp. 419-420.

٢٤ ـ **Codex Justinianus**, Code V. 9, 6, pp. 201-202.

٢٥ ـ **Just. Nov.** 22, Caput 27-30, pp. 168-171.

٢٦ ـ **Ecloga**, Tit. II, ch. 10, pp. 24-25.

وانظر أيضا :

Zhishman, **Das Eherecht**, II, p. 116.

٢٧ ـ كما نص هذا القانون على أن كل من يولد من زواج ثالث يعتبر طفلا غير شرعى ، انظر نص هذا القانون رقم (٢٨) في :

JGR (Zepos), I, p. 49-50.

٢٨ ـ **Prochiron**, Tit. IV, ch. 25, pp. 127-128.

٢٩ ـ كان الامبراطور ليو السادس من أباطرة بيزنطة القلائل الذين تميزوا بسعة العلم في اللاهوت وقوانين الكنيسة كما كان له اهتمام خاص بمسائل الزواج لدرجة أن عددا غير قليل من قوانينه التى بلغت ١١٣ قانونا تناولت الزواج وشئونه بشكل مباشر أو غير مباشر ، انظر نص القانون رقم (٩٠) لليو السادس في :

Novellae Leonis, pp. 296-298.

٣٠ ـ Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage**, Col. 2066;

Naz, **Mariage en Droit Occidental**, Cols. 751-752;

Joyce, **Christian Marriage**, p. 19.

وانظر أيضا :

كانتور : **التاريخ الوسيط قصة حضارة : البداية والنهاية** ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، (القاهرة ، ١٩٨١) جـ ١ ص ١٣٦ ــ ١٣٨ .

٣١ ــ Naz, **Mariage en Droit Occidental**, Col. 746; Joyce, **Christian Marriage**, p. 63.

٣٢ ــ Naz, **Mariage en Droit Occidental**, Col. 755; Villien, **Divorce**, Col. 1469.

٣٣ ــ انظر القانونين الكنسيين رقم (١١١٨) ، ورقم (١١٤٢) في :

Bouscaren, Ellis, Korth, **Canon Law**, pp. 611, 647.

وانظر أيضا :

Villien, **Divorce**, **Col.** 1471; **Meyendorff**, **Marriage**, p. 42; Pospishil, **Divorce and Remarriage**, p. 24.



الفصل الثاني

الزيجات الأربع للامبراطور ليو السادس



بعد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين سنة ٨٧٩م ، حرص الامبراطور باسيل الأول على اعداد ابنه الثانى ليو لخلافته ، وتزويجه لضمان استمرار حكم الأسرة المقدونية من بعده • ووقع الاختيار على فتاة تدعى ثيوفانو Theophano كانت تمت بصلة قرابة للامبراطورة الأم ايدوكيا انجرينا Eudocia Ingerina ، لتكون زوجة لليو[١] • ويبدو أن الاختيار لم يرض ليو ، الذى كان على علاقة بفتاة أخرى تدعى زوى Zoe ابنة ستيليانوس زاوتزس Stylianus Zautzes مستشار أبيه ، ولكنه اضطر الى الزواج خوفا من أبيه[٢] • وتم الزواج فى احتفال كبير فى شتاء ٨٨١/ ٨٨٢م على الأرجح[٣] • ويبدو أن علاقة ليو بزوى Zoe استمرت بعد زواجه وعلمت بها زوجته فأسرعت تخبر أباه • ويصف ليو بنفسه كيف كان رد فعل أبيه قاسيا ، فقد رفض أن يسمع دفاعه عن نفسه وانهال عليه بالضرب المبرح حتى سالت دماؤه• ولم يكتف باسيل الأول بذلك بل قام بتزويج زوى رغم ارادتها لأحد رجاله على أمل حسم هذه المشكلة نهائيا[٤] •

استقرت حياة ليو وزوجته ثيوفانو وانتظمت طوال السنوات المتبقية من عمر باسيل الأول • وأثمر هذا الزواج الأول لليو مولد طفلته الأولى ايدوكيا Eudocia حول سنة ٨٨٢م[٥] • وكانت وفاة الامبراطور باسيل الأول سنة ٨٨٦م ايذانا بتحرر ليو ، الذى أطلق العنان لرغباته فور أن اعتلى العرش • فأصبحت زوى محط الاهتمام الأول للامبراطور بينما انزوت ثيوفانو فى جنبات القصر بلا نصير • ويروى صاحب سيرة ثيوفانو كيف أن الامبراطورة الفاضلة كرست حياتها لحب الله وخلاص الروح وعمل الخير[٦] • بينما يذكر صاحب سيرة ايثيميوس Euthymius أن حزن الامبراطورة الشابة تضاعف بوفاة طفلتها الوحيدة ايدوكيا فى

شتاء سنة ٨٩٢م ، وأنها استدعت ايثيميوس Euthymius وأخبرته برغبتها في منح الامبراطور ليو السادس الطلاق والالتحاق بأحد الأديرة[٧] . وبالفعل التحقت الامبراطورة بدير العذراء في ضاحية بلاخرن Blachernae شمال العاصمة حيث عاشت في عزلة حتى وفاتها في نوفمبر سنة ٨٩٦م[٨] . وبعد وفاتها ببضع سنوات قررت الكنيسة البيزنطية اعتبارها قديسة لعفتها وتقواها وبسبب المعجزات المنسوبة اليها[٩] .

وبوفاتها أصبح في امكان الامبراطور أن يتزوج مرة ثانية . وكانت العقبة الوحيدة أمام زواجه من عشيقته زوى زاوترس Zoe Zautzes زوجها ثيودور جوزنياتس Theodore Gouzouniatis الا أنه توفي بعد ثيوفانو بفترة قصيرة . ولقد أثار توقيت وفاته المفاجىء في أعقاب وفاة الامبراطورة الشابة الكثير من الشكوك وتهامس الناس بأن زوى كانت مسئولة عن وفاتهما[١٠] . ويروى صاحب سيرة ايثيميوس Euthymius كيف استدعى الامبراطور الراهب ايثيميوس وأخبره بعزمه على الزواج من زوى ، الا أن الراهب التقى اعترض على هذا المشروع بسبب الشرور المنسوبة لزوى ، ونصح الامبراطور باختيار زوجة أخرى . ولكن الامبراطور أصر على موقفه وأمر بنفى ايثيميوس الى دير القديس ديوميدس St. Diomedes حيث عاش هناك عامين ، أى طوال عهد الامبراطورة زوى[١١] .

لا تشير المصادر بوضوح الى تاريخ الزواج الثانى للامبراطور ليو السادس من زوى زاوترس ، ومن المحتمل أن يكون هذا الزواج قد انعقد في أوائل سنة ٨٩٨م[١٢] . وباعتلائها العرش بلغ والدها ستيليانوس زاوترس Stylianus Zautzes قمة نفوذه في الحكومة والقصر وأنعم عليه الامبراطور بلقب والد الامبراطور Basileopator[١٣] . ولكن هذا المجد لم يدم طويلا فقد توفى ستيليانوس في صيف سنة

٨٩٩م ، كما توفيت ابنته زوى بعده بستة أشهر فى شتاء سنة ٨٩٩/ ٩٠٠م أثر مرض عضال وكان حزن الامبراطور عليها كبيراً[16] • ويبدو أن ليو السادس كان قد أنجب ، قبل زواجه رسميا من زوى ، طفلته الثانية آنا Anna • وبعـــد وفاة زوى تم تتويج الأميرة امبراطورة Augusta لتشغل ، بشكل مؤقت ، مقعد الامبراطورة الى جانب ليـــو السادس حسب قواعد البروتكول المتبعة فى مآدب واحتفـــالات القصر الامبراطورى ، ولحين زواج الامبراطور للمرة الثالثة • ولما كانت آنا Anna مخطوبة للملك الكارولنجى لويس الثالث Lewis III ملك بروفانس Provence ، فقد سافرت الى الغرب لتتزوجه فى سنة ٩٠١م ، ولكنها توفيت بعد ذلك حوالى سنة ٩٠٣م[15] •

لم يمض وقت طويل قبل أن يتورط ليو السادس فى زواج جديد ، كى ينجب ولدا ويحـــافظ على استمرار حـــكم الأسرة المقدونية • ان معلوماتنا عن الزواج الثالث قليلة للغاية ، فالحوليات البيزنطية تروى أن الامبراطور تزوج للمرة الثالثة من فتاة جميلة تدعى ايدوكيـــا بايانا Eudocia Baiana من ثيم الاوبسيق Opsikion فى آسيا الصغرى بعد عيد الفصح سنة ٩٠٠م[16] • وأوضح البطريرك نيقولا مستيكوس فى رسالته الى البابا اناستاسيوس الثالث Anastasius III ، بعد ذلك بسنوات ، أن قوانين الكنيسة البيزنطية لا تحرم الزواج الثالث بشكل قاطع بل تتسامح فيه لظروف • ويبرر تسامح الكنيسة ، فى حالة ليـــو السادس ، على أساس حاجة المراسم وقواعد البروتوكول الرسمية المتبعة فى مآدب واحتفالات القصر الى امبراطورة ، بعد أن تقرر سفر الأميرة آنا Anna الى الغرب الأوربى لتتزوج من ملك بروفانس[17] • ويهـــذا الزواج استنفد الامبراطور عدد مرات الزواج التى تتسامح فيها الكنيســة والدولة وعلى رأسها القانون رقم (٩٠) الذى أصدره بنفسه ونص على ضرورة الالتزام بفترة الحرمان المنصوص عليها فى القانون الكنسى[18] •

وجدير بالذكر أن الامبراطور ليو السادس لم يكن أول امبراطور يتورط فى أكثر من زواج فى الدولة البيزنطيـــة ، فقد سبق للامبراطور هرقل Heraclios (٦١٠ — ٦٤١م) أن تزوج مرتين ، وكذلك فعـــل الامبراطور قسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠ — ٧٩٧م) وأثار انقساما فى الكنيسة البيزنطية[٢٩] • كمـــا سبق للامبراطور قسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١ — ٧٧٥م) أن عقد زواجا ثالثا سنة ٧٦٩م بزواجه من ايدوكيا مليسينا Eudocia Melissina [٣٠] • وبالاضافة الى ذلك أرسى هذا الامبراطور سابقة هامة عندما جعل الكنيسة تبارك زواجه رسميا[٣١] • ولا تبين المصادر ما اذا كان ليو السادس قد أحيا هـــذه السابقة أم لا •

ولازم سوء الحظ الامبراطور ليو السادس فلم يعمر زواجه الثالث طويلا بل كان أقصر عمرا من زواجه الثانى اذ توفيت الزوجة الثالثة بعد عام واحد أثناء ولادة طفلها الوحيد يوم عيد الفصح الموافق ١٢من ابريل سنة ٩٠١م ، واكتملت أحزان الامبراطور بوفاة الطفل الوليد أيضا[٣٢] • وبوفاتهما تعقد الموقف ، وبدأ الامبراطور ينشغل من جديد بمستقبل الأسرة المقدونية التى توقف استمرار حكمها عليه وحده لأن أخاه اسكندر Alexander لم ينجب أطفالا ، وأصبحت مسألة انجاب ولى العهد شغله الشاغل • وكان من الطبيعى أن يسرع ليو السادس باقامة علاقة جديدة • ووقعت عينـــاه هذه المرة على فتاة جميلة تدعى زوى أيضـــا وتلقب كاربونوبسينا Carbonopsina كانت تنتمى الى الطبقة العليا فى مجتمع القسطنطينية وتميزت بالطموح والدهاء[٣٣] • كذلك كانت زوى الثانية تمت بصلة قرابة لعدة شخصيات مرموقة ومعروفة فى التاريخ البيزنطى ، مثل المؤرخ ثيوفانس Theophanes [٣٤] والأدميرال هيمريوس Himerios قائد الأسطول البيزنطى[٣٥] ، وليو خويروسفاكتس Leo Choirosphactes الدبلوماسى القدير فى ذلك الوقت[٣٦] •

ويلاحظ أن أول اشارة وردت فى المصادر لزوى الثانيـــة ، كان فى

مرض تناولها محاولة الاغتيال التى تعرض لها الامبراطور ليو السادس فى ١١ من مايو سنة ٩٠٣م فى كنيسة القديس موكيوس St. Mocios [٢٧] ؛ وعلى هذا يمكن ارجاع بداية علاقة الامبراطور بها قبل مايو سنة ٩٠٣م، ومن المحتمل أن تكون قد بدأت فى سنة ٩٠٢م • وفى صيف سنة ٩٠٤م، كانت زوى الثانية مقيمة بالفعل فى القصر الامبراطورى بشكل دائم كمحظية للامبراطور [٢٨] • وكان ليو السادس بهذا يخالف قانونه رقم (٩١) الذى حرم فيه اتخاذ محظيات لما فى ذلك من مخالفة للعقيدة وطبيعة العلاقات بين البشر [٢٩] •

وتحقق أخيرا حلم ليو السادس عندما وضعت زوى الثانية فى الفترة ما بين مايو — وسبتمبر سنة ٩٠٥م فى الغرفة الأرجوانية بالقصر طفلا ذكرا ، أصبح بعد ذلك الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII Porphyrogenitos • [٣٠] ولكن اذا كان الحلم قد تحقق فان بوادر أزمة عنيفة أخذت تتبلور • لقد أراد الامبراطور منح طفله وولى عهده الشرعية الضرورية ، الا أن سعيه فى هذا السبيل أدى الى احتدام الخلاف بينه وبين بطريرك القسطنطينية فضلا عن عودة الانقسام الى الكنيسة البيزنطية مرة أخرى •

لا شك أن تعميد الأمير الصغير كان يمثل خطوة رئيسية فى سبيل اضفاء الشرعية عليه • فطقس العماد يعنى الميلاد المسيحى للطفل كما يرمز الى الانتساب الى عضوية الكنيسة ، وفيه يكتسب الطفل اسمه الأول • ويبدو أن البطريرك نيقولا مستيكوس كان راغبا فى تعميد الطفل ، ربما لأنه كرجل دين لم يكن فى وسعه أن يحرم طفلا من طقس العماد بسبب خطيئة أبويه • ولكن العناصر المتشددة من رجال الكنيسة اعترضت على تعميده على أساس أنه تنازل يتضمن الموافقة على العلاقة المحرمة بين ليو السادس وزوى الثانية • وكان التيار المتشدد فى الكنيسة البيزنطية يضم فى معظمه تلك العناصر التى كانت مؤيدة لاتجاهات

البطريرك السابق اجناتيوس Ignatios قبل عودة السلام الى الكنيسة البيزنطية ، كما انضم اليه بعض أنصار البطريرك السابق فوتيوس Photios . وكان من أقطاب هذا التيار المعارض أرثاس Arethas رئيس أساقفة قيصرية Caesarea [٣١] .

حرص البطريرك نيقولا مستيكوس في البداية على تجنب انقسام جديد في الكنيسة البيزنطية أو صدام لاداعي له مع القصر وأخذ يسعى من أجل التوصل الى حل وسط . فتم تكليف أرثاس Arethas في أواخر سنة ٩٠٥ م بالسفر الى اليونان لتفقد شئون كنائسها والنظر في مشاكلها ، وهي مهمة امتدت لمدة شهور في سنة ٩٠٦م[٣٢] . وأثناء غيابه وافق معظم رجال الدين على تعميد الأمير الصغير شريطة أن يتعهد الامبراطور بصرف النظر تماما عن التفكير في الزواج للمرة الرابعة ، وأن ينفصل عن زوى الثانية[٣٣] . وقد قبل الامبراطور هذه التسوية وتعهد الالتزام بها . وبرحيل زوى ، أقيمت مراسم طقس العماد في احتفال ضخم في كنيسة الحكمة المقدسة St. Sophia في ٦ من يناير سنة ٩٠٦م ، وقام البطريرك نيقولا مستيكوس بتعميد الأمير الصغير بنفسه وأطلق عليه اسم قسطنطين . ووقفت ثلاث شخصيات معروفة لتؤدي دور الأب الروحي للطفل قسطنطين . حسب التقاليد المتبعة : الامبراطور المشارك اسكندر عم قسطنطين ، والراهب ايثيميوس Euthymius أب الاعتراف للامبراطور ليو السادس ، وساموناس Samonas أحد كبار موظفي القصر وأوسعهم نفوذا في ذلك الوقت[٣٤] .

لم يلتزم ليو السادس بالتسوية وحنث بوعده ، ففي ٩ من يناير سنة ٩٠٦م — أي بعد مرور ثلاثة أيام على تعميد قسطنطين — أمر الامبراطور بعودة زوى الى القصر لتقيم معه[٣٥] . وكان ليو السادس يعلم بالطبع أن الزواج من زوى فيه تأكيد لشرعية ابنه وولي عهده وضمان لمستقبله ، ولكن السبل المتاحة أمامه كانت محدودة . فالقانون

رقم (٨٩) الذى أصدره بنفسه كان ينص على أن شرعية الزواج أصبحت تستلزم مباركة الكنيسة[٣٦] • لقد صدر هذا القانون مثل بقية قوانينه المتعلقة بمسائل الزواج فى السنوات التى سبقت زواجه الثانى سنة ٨٩٨م • وبصدوره أكتسبت الكنيسة مسئولية كبرى فى تأكيد شرعية الزواج • على أية حال ، اتخذ ليو السادس الخطوة الجريئة فى النهاية ، واستطاع أن يجد قسا مغمورا يدعى توماس Thomas وافق على عقد زواج رابع للامبراطور على زوى كاربونوبسينا Zoe Carbonopsina ثم قام ليو بنفسه بتتويجها امبراطورة[٣٧] • وبزواجه للمرة الرابعة — وهو ما لم يحدث من قبل — يكون ليو السادس قد تحدى الكنيسة وخالف العرف والقانون وحاول أن يمنح الشرعية لعلاقة غير شرعية من أجل تأكيد شرعية ابن غير شرعى • واضطر البطريرك نيقولا مستيكوس أن يصدر ضده قرار الحرمان من رحمة الكنيسة[٣٨] •



حواشى الفصـل الثـانى

١ ـ كانت ثيوفانو وايدوكيـا انجرينـا تنتميان لأسرة مارتيناكيوس Martinakioi المرموقة فى العاصمة البيزنطيـة . وكانت ثيـوفانو ابنـة قسطنطين ابن انجر مارتيناكيوس Inger Martinakios وكانت ايدوكيـا شقيقة قسطنطين وعمة ثيوفانو ، للمزيد عن هذه الأسرة ، انظر :

Vita Sanctae Theophano, pp. 2-6; Da Costa-Louillet, **Saints**, pp. 825-826.

٢ ـ **Vita Euthymii**, p. 41.

٣ ـ يذكر صـاحب سـيرة ثيوفانو انها تزوجت وعمرها خمسة عشر عاما وتوفيت وهى فى الثلاثين من عمرها ، انظر :

Vita Sanctae Theophano, pp. 33, 42.

فاذا كانت وفاتها فى نوفمبر سنة ٨٩٦م ، فمعنى ذلك انها تزوجت فى شتاء ٨٨١/٨٨٢م . وكان عمر ليو فى ذلك الوقت حوالى ستة عشر عاما . انظر أيضـا :

Da Costa-Louillet, **Saints**, pp. 829-830.

٤ ـ **Vita Euthymii**, p. 41.

٥ ـ **Vita Sanctae Theophano**, pp.. 12, 36.

٦ ـ **Vita Sanctae Theophano**, pp. 14-15, 39-42; Da Costa-Louillet, **Saints**, p. 832.

٧ ـ **Vita Euthymii**, p. 37; Guilland, **Les Noces, p. 12;**
Diehl, **Byzantine Portraits, p. 180.**

٨ ـ اختلف المؤرخون حول سـنة وفاة الامبراطورة ثيـوفانو . وكان الاعتقاد فى البداية انها توفيت فى سنة ٨٩٣م ، انظر :

Diehl, Byzantine Portraits, p. 182; Guilland, Les Noces, p. 12.

ثم اقترح الاستاذ جرومل سنة ٨٩٧م ، انظر :

Grumel, Règne de Léon VI, pp. 26-27.

اما الاستاذة باتريشيا كارلين هيتر فقد قامت بدراسة اخيرة توصلت فيها الى ان الوفاة حدثت في سنة ٨٩٦م على اكثر تقدير وربما في سنة ٨٩٥م ، انظر :

Karlin-Hayter, Mort de Theophano, pp. 13-19.

وبمقارنة ما ورد في المصادر ، وخاصة ما ورد في سيرة ايثيميوس (الذى حدد يوم العاشر من نوفمبر) وما سجله صاحب سيرة ثيوفانو ، يتضح أن ثيوفانو قد توفيت في العاشر من نوفمبر سنة ٨٩٦م على اكثر تقدير انظر :

Vita Sanctae Theophano, pp. 16, 33, 42, **Vita Euthymii** pp. 46, 167.

على اية حال ، تم دفن الامبراطورة بكل اجلال بجوار كنيسة الرسل المقدسين في العاصمة ، ثم قام الامبراطور ليو السادس بتشييد كنيسة حملت اسمها تخليدا لذكراها ، انظر :

G. Mon. Cont., p. 860; **Theoph. Cont.** p. 364.

٩ ــ **G. Mon. Cont.**, p. 860; **Vita Sanctae Theophano**, pp. 16-18, 47-48.

وللمزيد عن الاحتفال المرتبط بذكراها ، انظر :

De Caerim., II. 6, p. 533.

١٠ ــ **Vita Euthymii**, pp. 45, 47, 174.

ويلاحظ أن الحوليات البيزنطية تشير الى وفاة ثيودور مسموما قبل الاشارة الى وفاة ثيوفانو ، انظر :

G. Mon. Cont., p. 852; **Theoph. Cont.**, p. 357.

وانظر ايضا : أسد رستم : **الروم** ، حـ ٢ ص ١٥ .

١١ ــ **Vita Euthymii**, pp. 47-49.

ويقع دير القديس ديومدس **St. Diomedes** في الجزء الجنوبى الغربى من القسطنطينية خلف دير ستوديو **Studios** ، انظر :

Janin, Constantinople, pp. 168-169.

١٢ ــ تم تحديد هذا التاريخ في ضوء الحقائق التالية :

(أ) امتد زواج زوى زاوتزس من ليو السادس مدة سنة وثمانية أشهر.

(ب) كانت زوى زاوتزس على قيد الحياة عندما كتب فيلوثيوس **Philotheos** قائمته المعروفة **Kletorologion** في سبتمبر سنة ٨٩٩م .

(جـ) انعقد الزواج الثالث لليو السادس بعد عيد الفصح سنة ٩٠٠م ، ويجب أن نفترض مرور فترة حداد بين وفاة زوجته الثانية وزواجه للمرة الثالثة ، انظر :

Theoph. Cont., p. 361; **Zonaras, III**, p. 444.

وللمزيد عن تاريخ كتابة قائمة **Kletorologion** ، انظر :

Bury, **Admin. System**, p. 11.

ويرى جرومل أن زوى زاوتزس توجت امبراطورة في نهاية يناير أو بداية فبراير سنة ٨٩٨م ، انظر :

Grumel, **Règne de Léon VI**, p. 21.

١٣ ــ كان ستيليانوس زاوتزس مقدونيا من أصل ارميني ، عمل مستشارا في خدمة الامبراطور باسيل الأول ، وتمتع بنفوذ كبير في أواخر أيامه ، بل كانت مقاليد الحكومة في يديه عند وفاة الامبراطور ، انظر :

Vita Euthymii, p. 5.

وبعد اعتلاء ليو السادس العرش أصبح ستيليانوس الوزير الأول وحمل القاب ماجيستر **Magistros** والماجيستر الأول **Protomagistros** واللغثيث المسئول عن الشئون العامة **Logothete tou dromou** وأشار له الامبراطور في اثنين من قوانينه (الأول ، والثامن عشر) بالماجيستر المسئول عن الدواوين المقدسة **Magistros ton theion offikion** ، انظر :

Theoph. Cont., p. 354; **Vita Euthymii**, p. 7; **Novellae Leonis**, p. 11 (Nov. 1); p. 69 (Nov. 18); Bury, **Admin. System**, pp. 29-31.

وبعد زواج ليو السادس من زوى زاوتزس أنعم عليه بلقب «والد الامبراطور» **Basileopator** (ويسميه بيورى لقب «والد الامبراطورة») . وكان فيلوثيوس **Philotheos** أول من ذكر هذا اللقب في قائمته **Kletorologion** التي نشرها بيورى .

وطبقا لما ورد في الحوليات البيزنطية كان هذا اللقب من ابتكار الامبراطور ليو السادس لتكريم والد زوجته الثانية ، انظر :

Theoph. Cont., p. 357; **Sym. Mag.**, p. 701; **G. Mon. Cont.**, p. 852;

Bury, **Admin. System**, pp. 114 115, 136.

ولقد لاحظ الاستاذ جرومل ان رومانوس ليكابينوس Romanos Lecapenos اتخذ ايضا هذا اللقب في سبتمبر سنة ٩١٩م عندما اصبح والدا لزوجة الامبراطور قسطنطين السابع ، ويقرر انه لهذا السبب ربطت الحوليات البيزنطية بين هذا اللقب وحقيقة أن من نالوه كانوا آباء لزوجات الأباطرة . أما الأستاذة كارلين هيتر فتعتقد أنه لم يكن مجرد لقب شرفي بل كان منصبا سياسيا بمعنى الوصي والمرشد لامبراطور صغير السن ، وتضيف بأن اللقب لم يكن قاصرا على آباء زوجات الأباطرة ، انظر :

Grumel, **Régne de Léon VI**, pp. 36-40; Karlin-Hayter, **Basileopator**, pp. 278-280;

وانظر ايضا :

Oikonomidès, **Préséance**, p. 307.

١٤ ـ **Vita Euthymii**, p. 49; Grumel, **Régne de Léon VI**, p. 21.

١٥ ـ **Theoph. Cont**. p. 364; **G. Mon. Cont.**, p. 860; **Sym. Mag.** p. 701.

ولقد أشار البطريرك نيقولا مستيكوس الى الاميرة انا Anna وزواجها من ملك بروفانس في رسالته رقم (٣٢) الى البابا اناستاسيوس الثالث ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32. pp. 218- 220.

على أية حال ، يبدو أن الأميرة البيزنطية قد توفيت بعد ان انجبت في القرب طفلها الوحيد الذى حمل اسم شارل ـ قسطنطين Charles-Constantine (حوالى سنة ٩٠٢م) . أما لويس الثالث فكان ملكا على بروفانس منذ سنة ٨٩٠م ثم اصبح ملكا على ايطاليا سنة ٩٠٠م ، ونال تاج الامبراطورية الغربية سنة ٩٠١م ، ولكنه فقد بصره سنة ٩٠٥م وتوفى سنة ٩٢٨م . أما شارل ـ قسطنطين فقد

أصبح بعد ذلك كونت فيينا Vienne وتوفى سنة ٩٦٥م . للمزيد عن أنا Anna ابنة زوى زاوتزس ، انظر :

Ohnsorge, Töchter Kaiser Leons VI, pp. 78-81,

وللمزيد عن شارل قسطنطين ، انظر :

Ohnsorge, Abendland und Byzanz, pp. 35, 228-234;

Previté-Orton, Charles-Constantine, pp. 703-706.

١٦ — Theoph. Cont., p. 364; Sym. Mag., pp. 703-704; G. Mon. Cont., p. 860; Grumel, Régne de Léon VI, pp. 18-19.

١٧ — Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, pp. 218-220.

وانظر أيضا تعليق الأستاذة كارلين هيتر على نص سيرة ايثيميوس في :

Vita Euthymii, p. 181.

١٨ — Novellae Leonis, pp. 296-298.

١٩ — بعد وفاة زوجته الأولى سنة ٦١٢م تزوج هرقل للمرة الثانية من ابنة أخيه مارتينا Martina منتهكا بذلك الأعراف والقوانين،انظر:

Speck, Das Geteilte Dossier, p. 31; Ostrogorsky, State, p. 112.

أما قسطنطين السادس فبعد أن انفرد بالحكم وتخلص من وصاية أمه سنة ٧٩٠م ، قام بطلاق زوجته ماريا Maria وتزوج للمرة الثانية من محظية في القصر تدعى ثيودوت Theodote . واعتبرت العناصر المتشددة من رجال الكنيسة والرهبان طلاق الامبراطور من ماريا (دون سبب) باطل ، وبالتالى فان زواجه الثانى غير شرعى ، انظر :

Ostrogorsky, State, pp. 180 - 181

٢٠ — وتم تتويجها امبراطورة في أول ابريل سنة ٧٦٩م ، انظر :

Theophanes, I, p. 443; Guilland, Les Noces, p. 13.

٢١ — Theodori Studitarum Epistolae, Col. 1092 A.

وقارن أيضا :

Guilland, Les Noces, p. 13.

وترجح الأستاذة كارلين هيتر حضور البطريرك انطون كاولياس حفل الزواج الثالث للامبراطور ليو السادس ، انظر تعليقها في :

Vita Euthymii, p. 183.

٢٢ — **Theoph. Cont.**, p. 364; **Sym. Mag.**, p. 704; **G. Mon. Cont.**, p. 860;

Vita Euthymii, p. 63.

وذكر قسطنطين السابع بعد ذلك ان اباه أطلق على هذا الطفل اسم باسيل الا انه توفى بعد فترة قصيرة من مولده ، انظر :

De Cerim., II. 42, p. 643.

٢٣ — حملت زوى الثانيـة لقب كاربونوبسـينا **Carbonopsina** بمعنى «ذات العيون السود» بسبب لون عينيها الداكن ، انظر :

Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 187; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 42.

وانظر ايضا :

الباز العرينى : **الدولة البيزنطية ٣٢٣ — ١٠٨١م** ، (دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥) ص ٣٧٣ ، أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ص ١٥ .

٢٤ — **DAI**, I. 22, p.98; II, p. 80; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 42.

٢٥ — **Vita Euthymii**, p. 109.

٢٦ — أشار الطبرى الى أن المبعوث البيزنطى الذى حضر الى بغداد فى عام ٢٩٤هـ/٩٠٦ — ٩٠٧م كان خالا لقسطنطين السابع ابن الامبراطور ليو السادس . هذا المبعوث البيزنطى هو ليو خويروسفاكتس انظر: الطبرى (أبو جعفر محمـد بن جرير) : **تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ٣ ، (مصر دار المعارف ، د-ت) ، جـ ١٠ ص ١٣٥ .

ولقد أشار هذا المبعوث بنفسه فى احدى رسائله الخاصـة ، التى نشرها كولياس ، الى صلة القرابة التى تربطه بأسرة الامبراطور ليو السادس ، انظر ما جاء فى رسالته رقم (٢٢) فى :

Kolias, **Léon Choerosphactès**, pp. 114, 115.

وللمزيد عن هذا الدبلوماسي ومهمته في بغداد ، انظر :

Vasiliev, **Byzance et les Arabes**, II/1, p. 192; II/2, p. 21; Jenkins, **Leo Choerosphactes**, pp. 167-175.

٢٧ ـ تروي المصادر البيزنطية في معرض وصفها لمحاولة اغتيال الامبراطور ليو السادس ، أن ساموناس Samonas ، أحد كبار موظفي القصر المقربين من الامبراطور ، لم يكن موجودا مع الامبراطور وقت محاولة اغتياله لانه كان يقوم بتوصيل زوي كاربونوبسينا الى القصر الامبراطوري ، انظر :

G. Mon. Cont., p. 861. Cf. Theoph. **Cont** p. 366.

٢٨ ـ **G. Mon. Cont.**, p. 862; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 336.

٢٩ ـ انظر نص القانون رقم (٩١) في :

Novellae Leonis, pp. 298-301.

٣٠ ـ **Theoph. Cont.**, p. 370; **Sym. Mag.**, p. 708; **G. Mon. Cont.**, p. 865.

ولايزال التحديد الدقيق لتاريخ ميلاد قسطنطين السابع غير معروف ، انظر :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 336; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, p. 44; Salaville, **Léon VI le Sage**, Cols. 369-370.

ويلاحظ أن كلمة بورفيروجنيتوس Porphyrogenitos (بمعنى المولود في الارجوان قد لازمت اسمه لتأكيد شرعية انتسابه للامبراطور ليو السادس .

٣١ ـ Grumel, **Les Regestes**, nos. 602-603, pp. 136-137; Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 191.

٣٢ ـ انظر الرسالة رقم (٧) التي كتبها أرثاس الى الامبراطور ليو السادس وتعليق جنكنز عليها في :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 332, 335-336.

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 218; ــ ٢٣
Jenkins, Imperial Centuries, p. 222.

أشار صاحب سيرة ايثيميوس الى بعض الاساقفة الذين اصروا على الاعتراض على تعميد الطفل مثل الاسقف ابيفانيوس Epiphanios انظر :

Vita Euthymii, p. 71.

وقارن ايضا : أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، جوزيف نسيم يوسف : تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ ــ ١٤٥٣م (مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٤) ، ص ١٥٠ .

Theoph. Cont., p. 370; G. Mon. Cont., p. 865; Leo Gramm., p. ــ ٢٤
279; Zonaras, III, p. 446.

ويلاحظ ان صاحب سيرة ايثيميوس لا يشير الى اسكندر عم الطفل . ومن الثابت حضور ايثيميوس تعميد الطفل فقد كان عليه ان يؤدى دور الاب الروحى ولكن بسبب ضعفه وتقدمه فى السن قام ساموناس بحمل الطفل بين يديه بدلا منه ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 71, 113

وقارن ايضـا : محمود سـعيد عمـران : نيقولا مستيقوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطيـة بالقوى الاسلامية من خلال مراسلاته ، (دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٠) ص ١٠ . وجدير بالذكر ان ساموناس كان خصيا من أصل عربى ، جاء من مدينة ملطية وعمل فى خدمة أسرة زاوتزس Zautzes . وبعـد وفاة ستيليانوس وابنته الامبراطورة زوى زاوتزس ببضعة أشهر ، كشف ساموناس للامبراطور ليـو السـادس عن مؤامرة باسـيل ابيكتس Basil Epeiktes (أحد أقارب الامبراطورة الراحلة زوى زاوتزس) ، فاعجب به الامبراطور وقام بتعيينه حاجبـا Cubicularius فى القصر الامبراطورى ، ثم انعم عليه بلقب بروتوسباثاريوس Protospatharios (أواخر سنة ٩٠٤م) . وفى سنة ٩٠٧م شغل ساموناس منصب براكويمومنوس Parakoimomenos (الحاجب الأول المسئول عن غرفة نوم الامبراطور) وازداد نفـوذه فى القصر

لدرجة أن المصادر تشير الى انه كان يحتل المركز الثانى بعد الامبراطور . وطوال السنوات الثمان التى عمل فيها فى خدمة الامبراطور (٩٠٠ – ٩٠٨م) تولى ساموناس جهاز الامن السرى واستطاع اكتشاف مؤامرة اندرونيكوس دوقاس . على اية حال ، فى سنة ٩٠٨م غضب الامبراطور على تابعه المخلص اثر وشاية وقام بنفيه الى احد الاديرة ، انظر :

G. Mon. Cont., pp. 857-859, 869-870; **Vita Euthymii**, pp. 49, 51, 176-177; Janin, **Samonas**, pp. 307-318; Jenkins, **Flight of Samonas**, pp. 217-235.

٣٥ – **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, pp. 218; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 337.

٣٦ – انظر نص هذا القانون فى :

Novellae Leonis, pp. 295-296.

٣٧ – **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32,, p. 218, 222; **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Sym. Mag.**, p. 709; **Theoph. Cont.**, p. 370; **Leo Gramm.**, p. 279; Kolias, **Léon Choerosphactès**, p. 50.

وانظر ايضا : أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيقوس** ، ص ١١ ، الباز العرينى : **الدولة البيزنطية** ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ .

ويلاحظ ان المصادر لا تذكر على وجه التحديد تاريخ انعقاد هذا الزواج الرابع ، ويمكن ترجيح انعقاده بين النصف الثانى من ابريل وشهر يونيو سنة ٩٠٦م ، فى ضوء ما يلى :

(أ) تذكر الحوليات البيزنطية ان الزواج انعقد بعد عيد الفصح (= ١٣ من ابريل) سنة ٩٠٦م .

(ب) ذكر البطريرك نيقولا مستيكوس أن مبعوثى البابا وصلوا الى القسطنطينية فى الشهر الثامن أو التاسع بعد انعقاد الزواج . والمعروف . أن وصولهم كان فى فبراير سنة ٩٠٧م .

ويرجع الأستاذ جنكنز انعقاده يوم الأحد التالى لعيد الفصح .
وحول اختلاف المؤرخين فى تحديد تاريخ هذا الزواج ، انظر :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 337; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, p. 47; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 60-62.

٣٨ — **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Sym. Mag.**, p. 709; **Leo Gramm.**, p. 279.

وتعتقد الأستاذة كارلين هيتر أن قرار الحرمان صدر عقب اجتماع المجمع الديني لبطريركية القسطنطينية وبالاجماع انظر :

Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 66, 74.

ولقد ترتب على ذلك حرمان الامبراطور من دخول الجزء الرئيسى من الكنيسة (بما فى ذلك المذبح) للاشتراك فى القداس الدينى كما جرت العادة . واضطر ليو السادس الى متابعة القراءة فى الكتاب المقدس من غرفة صغيرة ملحقة بالجانب الأيمن من مذبح كنيسة الحكمة المقدسة تسمى mitatorion . وكان الأباطرة يستخدمونها عادة للاستراحة وتغيير الملابس . وللمزيد عن هذه الغرفة ، انظر :

Theoph. Cont., p. 370; **De Caerim. I**, pp. 16, 17, 65, 145, 167; Goar, **Euchologion**, pp. 499-500; Ebersolt, **Sainte-Sophie**, pp. 17, 19.

الفصل الثالث

الأزمة داخل الكنيسة البيزنطية

وحقيقة موقف نيقولا مستيكوس



اذا تابعنا الأحداث كما رواها البطريرك نيقولا مستيكوس فقط ، فان قضية الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس ستبدو بسيطة وواضحة : لقد عارض البطريرك الزواج الرابع للامبراطور من البداية وبشكل متصل ، وفي النهاية تم نفيه وعزله من منصبه[1] . كان هذا التصور سائدا قبل نشر سيرة ايثيميوس Vita Euthymii وكتابات ارثاس Arethas ، فهذان المصدران يقدمان صورة مختلفة لموقف نيقولا من القضية ودوره فيها ومن الأفضل أن نتوقف عندهما قليلا .

بالنسبة لارثاس Arethas ، رئيس أساقفة قيصرية وأحد أعداء نيقولا مستيكوس ، فمعلوماتنا عنه قليلة ومصدرها ما كتبه بنفسه من خطب ورسائل فضلا عما ورد في سيرة ايثيميوس . وتعتبر كتاباته رواية معاصر وشاهد عيان للقضية موضوع هذه الدراسة[2] . واذا صدقنا الاتهامات التي وجهها ارثاس في رسائله ضد نيقولا مستيكوس ، فان الأخير كان مترددا بل ومتناقضا في موقفه من الزواج الرابع للامبراطور . ولكن يجب أن نتذكر أن أرثاس تميز بسوء الظن وبقلب يضمر الحقد والبغضاء . لقد كان من نفس عمر نيقولا تقريبا وتتلمذ مثله على يد البطريرك فوتيوس ، وجمعتهما في مناصرة فوتيوس والانتماء للتيار المعتدل في الكنيسة البيزنطية صداقة استمرت قوية حتى سنة ٩٠١م[3] . وفي نفس العام أصبح أرثاس المتحدث الرسمي للقصر الامبراطوري ، وفي أواخر سنة ٩٠٢م أصبح رئيس أساقفة قيصرية (في اقليم قبدوقيا Cappadocia) ، وبحكم مركزه هذا وعضويته في المجمع الدائم لبطريركية القسطنطينية كان يقضي معظم الوقت في العاصمة البيزنطية[4] . وفي حفل تنصيب نيقولا مستيكوس بطريركا في أول مارس سنة ٩٠١م امتدح أرثاس في خطبة رسمية موجهة للامبراطور ليو

السادس ، الفضائل والخصال الحميدة التى يتميز بها صديقه نيقولا[5] • ولكن هذه الصداقة لم تعمر طويلا ، اذ أخذت الوحشة بين الرجلين تنمو تدريجيا ، وبعد بضعة سنوات أصبح أرثاس من الد أعداء نيقولا مستيكوس • ويبدو أن أسباب هذا التحول ترجع جذورها الى سنة ٩٠٠م ، عندما قام عدد من رجال الدين المتشددين (من أنصار البطريرك اجناتيوس Ignatios) بتوجيه تهمة الخروج على المسيحية لأرثاس •وبالفعل تم تقديمه الى محكمة كنسية انعقدت في كنيسة الحكمة المقدسة،وجاء الحكم في النهاية بتبرئته من التهمة المنسوبة اليه • وعندما اعتلى نيقولا مستيكوس عرش البطريركية ، توقع أرثاس من صديقه أن ينتقم له من أولئك الذين حاولوا الاضرار به والاساءة لسمعته ، ولكن البطريرك الجديد لم يفعل شيئا من هذا القبيل حرصا منه على وحدة الكنيسة البيزنطية[6] • واعتبر أرثاس هذا الموقف السلبي من جانب نيقولا مستيكوس خيانة للصداقة التى ربطت بينهما • وبعد أربع سنوات ، حانت له الفرصة كي ينتقم من نيقولا بالانضمام الى التيار المتشدد داخل الكنيسة البيزنطية (أعداء الأمس) • وكان هذا التيار قد تبلور من جديد في معارضة شديدة للزواج الرابع للامبراطور ورفض لكل أشكال الحلول الوسط[7] •

على أية حال ، بعد عودته من مهمته في اليونان ، أثار أرثاس Arethas موجة اعتراض عارمة ، وكتب عدة رسائل الى الامبراطور ليو السادس وجه فيها اللوم له على زواجه للمرة الرابعة ومخالفة قوانين الكنيسة والدولة ، وذكره فيها بأهمية منصبه الامبراطوري وضرورة أن يكون قدوة لهذه الأمة • لقد اتهمه بالانتهازية وتفسير أقوال آباء الكنيسة على هواه ، وطالبه بكبح جماح رغباته ، واحترام قوانينه ، ووضع حد لهذه العلاقة المحرمة بالانفصال عن زوى الثالثة حتى يمكن استقباله من جديد في الكنيسة[8] • كما هاجم أرثاس بعنف البطريرك نيقولا مستيكوس ، لأنه في سعيه من أجل ارضاء الامبراطور ، حاول

أن يجعل الكنيسة تتسامح وتعترف بشكل استثنائي بزواج محـرم . وسخر أرثاس من ادعاء نيقولا مستيكوس بالحرص على وحدة الكنيسة البيزنطية وشبهه بالطبيب الفاسد وكلب الحراسة العاجز[9]. وهكذا يتضح من رسائل أرثاس أن نيقـولا مستيكوس لم يعارض الزواج الرابع للامبراطور من البداية الى النهاية كما ادعى بعد ذلك في رسـالته الى البابا انستاسيوس الثالث Anastasius III ، بل سعى ربما معظم الوقت من أجل اقناع رجال الكنيسة بالتسامح والاعتراف بهذا الزواج .

أما سيرة ايثيميوس Vita Euthymii ، التي كتبها مجهول بين عامي ٩٢٠-٩٢٥م، فتتناول حياة الراهب ايثيميوس الذي خلف نيقولا مستيكوس على عرش بطريركية القسطنطينية سنة ٩٠٧م . وكان ايثيميوس من أنصار البطريرك السابق اجناتيوس Ignatios وأحد أقطاب التيار المتشدد المعارض للزواج الرابع للامبراطور . وتعتبر هذه السيرة أقدم مصدر معاصر لعهد الامبراطور ليـو السادس كما تقـدم رواية شاهد عيان للاحداث التي تتناولها[10] . ويؤكد صاحب سيرة ايثيميوس في روايته على الموقف المتناقض للبطريرك نيقولا مستيكوس في الأزمة التي فجرها الزواج الرابع لليو السادس . ففي البداية عارض البطريرك اقامة زوى الثانية غير المشروعة في القصر وتفكير الامبراطور المبكر في الزواج منها ، ولكن هذه المعارضة انتهت قبل مولد قسطنطين سـنة ٩٠٥م . ويبرر صاحب السـيرة هذا التحول على أساس تورط البطـريرك في تمرد اندرونيكوس دوقاس Andronicus Dukas وافتضاح أمره ، فحـاول اكتساب ود الامبراطور بالاستجابة لكل رغبـاته بما في ذلك تعميـد قسطنطين بنفسه ، والتسامح في زواجه الرابع ثم عدل عن ذلك في النهاية ورفض استقباله في الكنيسة[11] . وفي ضوء ما ورد في كتابات أرثاس وسيرة ايثيميوس ورسائل البطريرك نيقولا مستيكوس فضلا عما تضمنته المصادر الأخرى ، يمكن ترتيب الأحداث على النحو التالي :

أدى زواج الامبراطور ليو السادس للمرة الرابعة سنة ٩٠٦م الى

تفجر أزمة عنيفة بين الكنيسة والقصر - فهذه الخطوة الجريئة من جانب الامبراطور أثارت العناصر المتشددة ولم ترض العناصر المعتدلة داخل الكنيسة البيزنطيـة • ولم يكن فى وسع نيقـولا كبطـريرك لكنيسـة القسطنطينية سوى اصـدار قرار الحرمان ضـد الامبراطور • وكان الامبراطور من جانبه يعلم تماما أنها عقوبة لا مفر من صدورها ضده ، ولكنه كان يعلق الآمال على البطريرك فى استصدار قرار استثنائى من الكنيسة باعتبار قصته حالة خاصة يمكن التسامح فيها وبالتالى الاعتراف بزواجه الرابع[١٢] • وبالفعل حاول نيقولا مستيكوس الاستجابة لذلك فى بداية الأمر • وبغض النظر عن تفسير صاحب سيرة ايثيميوس لهذه الاستجابة[١٣] ، فاننا نعتقد أن نيقولا ربما حاول مساعدة الامبراطور لأسباب أخرى • فلقد كان صديقا لليو السادس ، كما كان من أقطاب التيار المعتدل داخل الكنيسة والمعروف بتأييده التقليدى للقصر ، وربما سعى لتجنب شر أكبر ، اذ تروى احدى الحوليـات البيزنطيـة أن الامبراطور فكر فى اصدار قانون جديد ينص على اباحة الزواج للمرة الرابعة[١٤] •

وكان السماح للامبراطور ببدء فترة تكفير عن ذنبه وتحديدها هى الخطوة الأولى فى تسامح الكنيسة ، ويتضمن هذا دخوله الكنيسة صحبة البطريرك حتى حدود المذبح فقط[١٥] • وطبقا لرواية صـاحب سيرة ايثيميوس ، كان البطريرك مستعدا لاصدار تسـامح استثنائى على مسئوليته ، كما عرض على ليو السادس فى مناسبتين اصطحابه الى داخل الكنيسة ، كانت الأولى فى أول مايو سنة ٩٠٦م (بعد الزواج مباشرة) والثانية فى ٦ من أغسطس من نفس العام[١٦] • ومن المرجح غيـاب أرثاس Arethas عن العاصمة فى المناسبة الأولى على الأقل وربمـا فكر نيقولا مستيكوس فى انتهـاز تلك الفرصـة المواتية واصطحاب الامبراطور الى الكنيسة ووضع المعارضـة أمام الأمر الواقع • ولكن الامبراطور تردد لأنه كان يفكر فى الأمر بصـورة مختلفة ، لقد أراد

اعترافا شرعيا بزواج لا يتطرق اليه الشك من أجل تأمين مستقبل ابنه الصغير قسطنطين . وبطبيعة الحال لا يتحقق هذا الا بصدور قرار استثنائي باجماع أعضاء المجمع الكنسي لبطريركية القسطنطينية . ولم يكن الاجماع متوفرا وان كانت أغلبية رجال الكنيسة تؤيد مساعي البطريرك الايجابية[17] .

وجدير بالذكر أن هناك نقطة خلاف جوهرية بين المعتدلين والمتشددين في مسألة السماح للامبراطور ببدء فترة تكفير عن ذنبه . فعندما عرض البطريرك نيقولا مستيكوس على الامبراطور اصطحابه الى الكنيسة لم يشترط انفصاله عن زوجته وكان هذا تسامحا يتضمن الاعتراف بزواجه. وعلى العكس من ذلك اشترط أرثاس وأنصاره ضرورة انفصال الامبراطور عن زوجته حتى يمكن استقباله في الكنيسة وفي هذا عدم اعتراف بزواجه[18] .

وكان أرثاس قد أخذ يقود معارضة مؤثرة داخل الكنيسة رفضت كل أشكال الحلول الوسط ومحاولات الاقناع من جانب البطريرك أو الامبراطور . لقد تضمنت رسائل أسقف قيصرية التي كتبها بين مايو سنة ٩٠٦م ومارس ٩٠٧م الحجج التي تستند اليها المعارضة وقراءتها الصحيحة لقوانين الكنيسة ، فضلا عن تفنيد ادعاءات نيقولا مستيكوس وأنصاره ، وشجب محاولات ارضاء السلطة[19]. ومع نمو قوة المعارضة ازداد قلق البطريرك الذي كان يخشى انقسام الكنيسة . ورغم ذلك استمرت وعود استقبال الامبراطور في الكنيسة بعد التغلب على المعارضة .

يبدو أن العاصفة التي أثارتها المعارضة جعلت الامبراطور ليو السادس يطلب من البابوية وبطريركيات الشرق التدخل للنظر في أمر زواجه الرابع ، وذلك بعقد مجمع ديني لحسم القضية وتجنب انقسام الكنيسة البيزنطية[20] . وكان اللجوء الى البابوية مناورة جيدة ، لأنها

سترضى المتشددين الذين سبق لهم الاعتماد على كنيسة روما فى صراعهم ضد البطريرك السابق فوتيوس Photios من ناحية ، كما كان من المتوقع أن يكون موقف البابوية ايجابيا من الطلب الامبراطورى لمساعدتها بالتدخل من جديد فى شئون كنيسة القسطنطينية من ناحية أخرى[٣١] .
وتختلف المصادر فى بيان حقيقة موقف نيقولا مستيكوس من اللجوء الى البابوية وبطريركيات المشرق . فالبطريرك يدعى أنه هو الذى اقترح هذه الخطوة ، وأنه نصح الامبراطور بالانفصال عن زوى Zoe لحين حضور ممثلى البابوية وبطريركيات المشرق وحتى يتخذ المجمع الدينى المزمع انعقاده قرارا فى أمر زواجه ، ولكن ليو السادس رفض الانفصال عن زوجته غير الشرعية[٣٢] . أما صاحب سيرة ايثيميوس فيروى أن نيقولا مستيكوس كان لا يرى ضرورة للجوء الى البابوية وبطريركيات المشرق معلنا أنه سوف يستقبل الامبراطور فى الكنيسة دون مساعدة من الخارج[٣٣] . هذه الرواية الأخيرة تبدو معقولة لأن نيقولا ، كأحد أقطاب التيار المعتدل (الذى ناصر فوتيوس) وعلى رأس الكنيسة البيزنطية ، كان لا يرغب فى رؤية البابوية تتدخل من جديد فى شئون كنيسته[٣٤] .

كان موقف نيقولا مستيكوس بلا شك دقيقا . لقد وجد نفسه ممزقا بين رغبات القصر وضغط المعارضة داخل الكنيسة ، وكان يريد ارضاء الامبراطور وتجنب تدخل كنيسة روما ، ولكنه كان يخشى حدوث انقسام جديد فى الكنيسة البيزنطية . واذا كان قد عرض على ليو السادس فى مناسبتين اصطحابه الى الكنيسة ، فان الامبراطور تردد بسبب المعارضة ، وفضل الانتظار حتى يتعرف على موقف البابوية وبطريركيات المشرق.وللمرة الثالثة أعلن البطريرك استعداده لاصطحاب الامبراطور الى الكنيسة فى مناسبة عيد الميلاد فى ٢٥ من ديسمبر سنة ٩٠٦م ، لتجنب تدخل البابوية وعلى أمل التغلب على عناد المعارضة . ولكن هذه المرة كان نيقولا مستيكوس يقدم وعدا لن يستطيع الوفاء به

دون حدوث انقسام فى الكنيسة . فقد ازدادت المعارضة قوة ، وفشلت كل محاولات الترغيب والترهيب من جانب البطريرك والامبراطور[٣٥] .
وعندما حل عيد الميلاد سنة ٩٠٦م قرر الامبراطور قبول دعوة البطريرك بدخول الكنيسة بعد أن تأكد من ايجابية موقف البابوية وبطريركيات المشرق وعلم أن مندوبيها فى طريقهم الى القسطنطينية .

وعلى غير المتوقع ، عندما توجه ليو السادس وحاشيته الى كنيسة الحكمة المقدسة اضطر البطريرك الى منع دخوله ، ووعد باستقباله فى الكنيسة بعد اثنى عشر يوما فى مناسبة عيد العماد Epiphany . واضطر الامبراطور الى الانسحاب من أمام المدخل الرئيسى للكنيسة والتوجه من باب جانبى الى غرفة الاستراحة وتغيير الملابس المخصصة للاباطرة والتى تسمى mitatorion حيث تابع القراءة من الكتاب المقدس ثم اضطر الى مغادرة المكان قبل بداية قداس عيد الميلاد بسبب قرار الحرمان الصادر ضده[٣٦] . وفى مناسبة عيد العماد Epiphany الموافق ٦ من يناير سنة ٩٠٧م توجه ليو السادس صحبة أعضاء السناتو الى المدخل الرئيسى لكنيسة الحكمة المقدسة ومرة أخرى فشل البطريرك فى استمالة المعارضة ولم يتمكن بالتالى من الوفاء بوعده وتحقيق رغبة الامبراطور . وتكرر مشهد منع الامبراطور من دخول الكنيسة واضطراره للانسحاب الى غرفة الاستراحة mitatorion حيث ظل هناك حتى انتهاء القراءة من الكتاب المقدس ليغادر المكان قبل بداية قداس عيد العماد Epiphany[٣٧] .

وجدير بالذكر ، أن سيرة ايثيميوس Vita Euthymii ، التى تتخذ موقفا معاديا من نيقولا مستيكوس ، تقدم تفسيرا لتغير موقفه من الامبراطور فى الفترة ما بين أغسطس وديسمبر سنة ٩٠٦م . اذ تروى أن ليو السادس ذكر لبعض معاونيه أنه ينوى ، بعد أن يتم استقباله فى الكنيسة والاعتراف بزواجه ، عزل نيقولا مستيكوس من منصبه بتهمة الخيانة العظمى لتورطه فى تمرد القائد اندرونيكوس دوقاس

Androsicts Dukas . ولما علم البطريرك بنوايا الامبراطور ، غير سياسته على الفور وتحول من تأييد الامبراطور والسعي من أجل التسامح في زواجه الرابع الى معارضته ورفض الاعتراف بزواجه ، كما حث الأساقفة الموالين له على فعل الشيء نفسه[28] . ولهذا السبب منع نيقولا مستيكوس الامبراطور من دخول الكنيسة في عيد الميلاد الموافق ٢٥ من ديسمبر ٩٠٦م ، ومرة أخرى في عيد العماد الموافق ٦ من يناير سنة ٩٠٧م .

على أية حال ، يبدو أن هذه الرواية تفتقر الى الصحة في ضوء ما جاء في وثيقة معاصرة هامة لا يتطرق اليها الشك[29] . انها رسالة موجهة لأرثاس Arethas ، كتبها له تلميذه وصديقه الراهب نيكتاس البافلاجونى Nicetas Paphlagonos بعد عيد الميلاد سنة ٩٠٦م ببضعة أيام . وتروي الرسالة أنه في ليلة عيد الميلاد سنة ٩٠٦م ، دعا نيقولا مستيكوس الراهب نيكتاس الى مقر البطريركية ، حيث استقبله بحضور أحد أقرباء نيكتاس المعروفين بولائهم للقصر ، وقدم له عشاء فاخرا رفض الراهب أن يتناوله . وحاول البطريرك بعد ذلك استمالة نيكتاس وحثه على اقناع أرثاس بالتخلي عن معارضته لزواج الامبراطور ، ولكن الراهب رفض بشدة ، ولم يجد معه الوعد ولا الوعيد[30] .

وهكذا يتضح أن نيقولا مستيكوس اتبع معظم الوقت سياسة موالية للقصر ، وكان بالفعل لايزال يحاول جاهدا التغلب على المعارضة داخل الكنيسة حتى يوم عيد الميلاد سنة ٩٠٦م . وربما استمرت هذه الجهود دون نجاح حتى يوم عيد العماد Epiphany في ٦ من يناير سنة ٩٠٧م، حين أدرك نيقولا أنه لا أمل في التغلب على المعارضة داخل الكنيسة ، وأعلن أنه لن يستطيع تحقيق رغبة الامبراطور بدون موافقة جميع الأساقفة[31] . وكان استقبال الامبراطور في الكنيسة رغم أنف المعارضة يعني انقسام الكنيسة البيزنطية ، وهو أمر كان نيقولا مستيكوس حريصا غاية الحرص على تجنبه مهما كان الثمن . وأمام

عناد المعارضة واصرارها على التمسك بقوانين الكنيسة والدولة وعدم التسامح فى زواج غير شرعى من ناحيـــة ، واصرار الامبراطور على التمسك بزوجته وعدم الانفصال عنها من ناحية أخرى ، لم يكن أمام البطريرك سوى الانضمام الى المعارضة فى آخر الأمر[٣٢] .

حواشي الفصل الثالث

١ ـ انظر رواية نيقولا مستيكوس للأحداث كما وردت في رسالته رقم (٣٢) الى البابا اناستاسيوس الثالث Anastasius III سنة ٩١٣م في:

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, pp. 214- 244.

٢ ـ ومن بين كتابات أرثاس تعتبر رسائله الثمانية على جانب كبير من الأهمية لأنها تتناول قضية الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس . ولقد قام الأستاذان باسيل لاورداس ، وروملى جنكنز بنشر هذه الرسائل والتعليق عليها سنة ١٩٥٦م ، انظر :

Jenkins and Laourdas, Letters of Arethas, p. 293-372.

أما خطب ارثاس التسعة فتعتبر خطبا رسمية القاها جميعا (باستثناء خطبته رقم ٩٤٥) أمام الامبراطور ليو السادس في احتفالات رسمية أثناء شغله منصب المتحدث أو الخطيب الرسمي في القصر بين عامى ٩٠١م و ٩٠٢م . وتتضمن هذه الخطب مادة خصبة عن عهد الامبراطور ليو السادس ، وقد قام فريق مكون من: روملى جنكنز ، وباسيل لاورداس ، وسيريل مانجو بنشر هذه الخطب والتعليق عليها سنة ١٩٥٤م ، انظر :

Jenkins, Laourdas, Mango, Nine Orations, pp. 1-40.

للمزيد عن ارثاس انظر الدراسة القيمة التى قام بها الأستاذ كوجياس ، في :

Kougeas, Kaisareias Arethas, pp. 33-35, 85-89.

٣ ـ ولد ارثاس سنة ٨٥٠م في مدينة باتراس Patras في شبه جزيرة البلوبونيز وكان ينتمى لأسرة عريقة . وفي سنة ٨٩٥م انضم للسلك الكنسى وامتد عمره حتى سنة ٩٣٢م انظر :

Kougeas, Kaisareias Arethas, pp. 1-5, 8-9; Jenkins, Laourdas, Letters of Arethas, p. 341;Grégoire, âge Héroique, p. 385.

٤ ـ Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 2-3; Kougeas, **Kaisareias Arethas**, pp. 7-10.

٥ ـ وفى خطبــة أخرى ألقيت فى حفــل غداء فى مقر البطريركيــة وفى حضور الامبراطور أيضا ، كرر ارثاس كلمات الاطراء بشكل موجز بمناسبة مرور عام على اعتلاء نيقولا لعرش البطريركية ، انظــر نص الخطبة رقم (١) ، والخطبة رقم (٨) فى :

Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 17-20, 36-37.

٦ ـ انظر الرسالة رقم (١) التى كتبها ارثاس للبطريرك نيقولا والتى يرجع تاريخها الى منتصف سنة ٩٠١م ، والتعليق عليها فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 294- 298, 349-351.

وانظر أيضا :

Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 220.

٧ ـ Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 351.

٨ ـ انظر ما ورد فى الرسالتين رقم (٣) ورقم (٤) ، فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 303-307, 310,320.

٩ ـ انظر ما ورد فى الرسائل رقم (٣) ورقم(٤) وخاصة رقم (٥) ، فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 307-311, 318, 324- 326.

١٠ ـ عثر الأستاذ هيرشفلد Hirschfeld على مخطوطة ايثيميوس ســنة ١٨٧٤م ، وقام الأستاذ دى بور De Boor بنشرها سنة ١٨٨٨م فى برلين مع التعليق عليها ، ولما كانت المخطوطة بلا عنوان فقد أطلق عليهــا دى بور De Boor سيرة ايثيميوس Vita Euthymii لأن الراهب ايثيميــوس هو الشخصية الرئيســية التى تدور حولهــــا الأحداث ، انظر :

Vita Euthymii, Ein Anecdoton zur Geschichte Leon's des Weisen. A. 886-912, ed. C. De Boor (Berlin, 1888).

وفى سنة ١٩٥٧م قامت الأستاذة كارلين هيتر بإعادة نشر المخطوطة مع ترجمة انجليزية صدرت فى المجلد الضخم لدورية Byzantion

انظر :

P. Karlin-Hayter, "Vita S. Euthymii", B, 25-27 (1955-1957), pp. 1-172 and Appendix pp. 747-778.

وفي سنة ١٩٥٩م أصدر الأستاذ الكسندر كيـدان A. Kazdan ترجمـة روسية للمخطوطة مع تعليق دون نشر النص اليوناني ، وقد قامت الأستاذة كارلين هيتر باعداد دراسة وعرض نقدي لهذه الترجمة (انظر :

(Byzantion, 32(1962), pp. 317-322 .

وفي سنة ١٩٧٠م أعادت الأستاذة كارلين هيتر نشر المخطوطة كاملة مع ترجمـة انجليزية وتعليق وهي التي اعتمـدنا عليها في هذه الدراسة ، انظر هذه المخطوطة والتعليق في :

Vita Euthymii, pp. 1-147. (النص) ، pp. 148-233. (التعليق) .

١١ — Vita Euthymii, pp. 69-71, 72-82; Karlin-Hayter, Synode, pp. 76-77.

١٢ — انظر الرسالة رقم (٥) لارثاس والتعليق عليها في :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 324-343.

وانظر أيضا :

Vita Euthymii, p. 93.

١٣ — يفسر صاحب سيرة ايثيميوس قيام البطريرك بتعميد قسطنطين في ٦ من يناير سنة ٩٠٦م واستعداده للاستجابة لرغبة الامبراطور على أساس انتضـاح أمر تورطه في مؤامرة القـائد اندرونيكوس دوقاس Andronicus Dukas التي انتهت بتمـرده ، وطبقـا لهـذه الرواية ، وقعت في يد الامبراطور رسالة أرسلها البطريرك للقائد المتمرد في آسيا الصغرى خاطبـه فيهـا بامبراطور المستقبل ونصحه بمواصلة الثورة وعدم الاستجابة لوعود العفو عنه ، انظر :

Vita Euthymii, p. 68.

١٤ — **G. Mon. Cont.**, p. 866; **Scylitzes**, p. 185.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ١٦ .

١٤ – **Vita Euthymii**, p. 197; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 74.

والمعروف ان الامبراطور فى الاحوال الطبيعية له حق دخول مذبح الكنيسة لحضور القداس الدينى .

١٦ – **Vita Euthymii**, pp. 71-73, 83-85; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 343; Jenkins, **Tetragamy** p. 234.

١٧ – Karlin-Hayter, **New Arethas Texts**, pp. 281, 291-293; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 76.

١٨ – Vita Euthymii, p. 197.

وانظر أيضا رسالة ارثاس رقم (٣) فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 305-306.

١٩ – Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, **pp.** 294-333.

٢٠ – **Vita Euthymii**, **pp.** 73, 79, 81.

٢١ – انظر تعليق الأستاذ جنكنز فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 343.

٢٢ – **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 222.

٢٣ – **Vita Euthymii**, pp. 73, 81.

وقارن ايضـا :

Jenkins, **Tetragamy**, p. 234; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 343;Karlin-Hayter, **Arethas Documents IV**, p. 461.

٢٤ – يظهـر التناقض بوضوح فى رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس رقم (٣٢) الى البـابا انـاستاسيوس الثـالث . ففى البـداية يدعى البطريرك انه صـاحب اقتراح دعوة البابوية وبطريركيات الشرق لعقد مجمع دينى لحسم قضية الزواج الرابع ، ثم يشكو بعد ذلك من تجاهل الامبراطور له وقيامه بدعوة البابوية للنظر فى شأن من شئون الكنيسة البيزنطية ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 222.

٢٥ – عن ازدياد قوة المعارضة ، انظر :

Vita Euthymii, p. 81.

وعن محاولات الامبراطور الضغط على المعارضة ، انظر رسالة ارثاس رقم (٧) والتعليق عليها في :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 332, 344, 369.

٢٦ - **Vita Euthymii**, pp. 75, 77, 85.

وانظر أيضا حاشية رقم (٣٨) من الفصل الثانى .

٢٧ - يروى صاحب سيرة أيثيميوس أن نيقولا مستيكوس اعترض دخول الامبراطور الى الكنيسة في عيد العماد قائلا له :

«طالما لم يوافق جميع الأساقفة بما فيهم ارثاس ، فاننى لا استطيع السماح لك بدخول الكنيسة . واذا حاولت يا صاحب الجلالة الدخول بالقوة ، فاننى وكل الحاضرين سنغادر المكان على الفور» . انظر :

Vita Euthymii, pp. 77-79, 85.

ويعتقد بعض المؤرخين أن قيام البطريرك بمنع الامبراطور من دخول الكنيسة في مناسبتى عيد الميلاد وعيد العماد كان تنفيذا لقرار المجمع الدائم لبطريركية القسطنطينية ، انظر :

Hajjar, **Synode Permanent**, p. 133.

٢٨ - **Vita Euthymii**, pp. 73-75.

٢٩ - Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 344.

٣٠ - Lambros and Kougeas, **Epistole Niketa**, pp. 301-306, 311.

وانظر أيضا :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 344-345.

٣١ - **Vita Euthymii**, pp. 77, 83; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 334, 345; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 75-76.

٣٢ - ويعتقد بعض المؤرخين أن التبدل الذى طرأ على موقف نيقولا مستيكوس وانضمامه الى المعارضة في آخر الأمر يرجع لاعتراضه على تدخل البابوية واصراره على تأكيد استقلال الكنيسة البيزنطية ، انظر :

Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 194; Salaville, **Léon VI le Sage**, Col. 371.



الفصل الرابع

عزل نيقولا مستيكوس وبطريركية ايثيميوس



أدى قيام نيقولا مستيكوس بمنع الامبراطور على الملأ من دخول الكنيسة الحكمة المقدسة فى ٢٥ من ديسمبر ٩٠٦م ، ومرة أخرى فى ٦ من يناير سنة ٩٠٧م الى احراج الامبراطور ووضع الكنيسة فى مواجهة حادة مع القصر • ولكن ليو السادس أبدى فى المناسبتين قدرا طيبا من الصبر وضبط النفس • وبعد انتهاء قداس عيد العماد فى ٦ من يناير سنة ٩٠٧م، دعا الامبراطور البطريرك والأساقفة الى الوليمة المعتادة فى تلك المناسبة فى القصر[١] • واعتذر عن حضورها اثنان من أقطاب المعارضة هما أرثاس Arethas وابيفانيوس Epiphanios • وفى البداية حاول نيقولا الاعتذار عن الحضور أيضا فقام الامبراطور بدعوته مرة أخرى ، فاضطر للحضور بحكم منصبه وبصحبته الأساقفة[٢] • واستغل ليو السادس هذه المناسبة لطرح قضيته ، فبعد الانتهاء من الطعام وجه حديثه أمام جميع الحضور الى البطريرك معاتبا ، وعدد المرات التى وعده فيها بالاستقبال فى الكنيسة ، وكيف أحرجه برفضه • وذكر الامبراطور للحضور كيف كان نيقولا ودودا تجاه زوى كاربونوبسينا Zoe Carbonopsina خلال فترة حملها عندما كان يحضر ويتناول طعام الغداء معها فى القصر ، ويربت عليها مباركا جنينها ، وكيف أمر سبعة قساوسة بالانقطاع عدة أيام فى كنيسة الحكمة المقدسة للصلاة والدعاء لها (خلال فترة الحمل) ، ثم جاء بعد ذلك يبشر بأن الجنين سيكون طفلا ذكرا[٣] • وكان جواب نيقولا مستيكوس على ذلك ، أنه لم يعلم فى ذلك الوقت أن الأساقفة سيعترضون على سياسة التسامح التى كان ينتهجها بهذا الحزم والقوة • وأنه لا يستطيع تجاهل اعتراضهم والتصرف بغير موافقتهم خوفا من شرخ وحدة الكنيسة[٤] • وهنا يبدو نيقولا صادقا فى حرصه على سلام الكنيسة ووحدتها • وبعد هذا الحوار أمر ليو السادس باحضار طفله قسطنطين وحمله بين يديه والدموع فى عينيه وقال للأساقفة

ان كل مايطمع فيه هو دخول الكنيسة حتى حدود المذبح كى يبدأ فترة تكفير عن ذنبه،ويقول صاحب سيرة اليثيميوس أن بعض الأساقفة تأثروا من الموقف ومالوا للاستجابة لطلبه(٥)،على أية حال،بعد انتهاء الاحتفال وعودة الأساقفة الى البطريركية ، اجتمع بهم نيقولا مستيكوس وطلب منهم الثبات على الموقف ، وعدم الاستسلام لرغبات الامبراطور والمقاومة حتى الموت ، وعدم الاستقالة من كراسيهم الأسقفية مهما كانت الظروف ، وأن يلتزموا بقوانين الكنيسة ، ثم جعلهم يقسمون على ذلك ويؤكدون التعهد بالتضامن معه كتابة(٦) • وبهذا يتأكد تحول نيقولا مستيكوس وانضمامه الى معسكر المعارضة بعد أن وصلت علاقته بالامبراطور الى طريق مسدود •

وقعت المواجهة التالية بين الامبراطور والبطريرك فى يوم عيد القديس تريفون St. Tryphon فى أول فبراير سنة ٩٠٧م ، حين أقام ليو السادس المأدبة الرسمية المعتادة فى تلك المناسبة فى القصر ، ودعا البطريرك والأساقفة اليها(٧) • وبعد الانتهاء من الطعام انتقد الامبراطور تصرفات نيقولا مستيكوس بحدة ، فاستعرض أمام الحاضرين اتفاقه معه ووعود استقباله فى الكنيسة ، ووصفها بأنها «اتفاقات فارغة» و «وعود كاذبة»(٨) • واتهمه بالتحايل واهانة المقام الامبراطورى • وفى اجابته كرر البطريرك القول بأنه كان على استعداد للتسامح فى زواجه واستقباله فى الكنيسة اذا وافق جميع الاساقفة • وواصل الامبراطور هجومه على نيقولا فأشار الى تواطئه مع القائد اندرونيكوس دوقاس وتآمره معه ضد العرش ، ثم التفت الى الاساقفة الحضور وأعلن رسميا احالة قضية زواجه الرابع الى المجمع المقدس الذى يمثل كل الكنائس والذى سينعقد بمجرد وصول ممثلى البطريركيات الاخرى الى العاصمة البيزنطية(٩) • وكان ليو السادس على ثقة من ايجابية القرار الذى سيصدر عن هذا المجمع ، فقد علم أن مندوبى

البـابوية وبطريركيات المشرق عبروا حـدود الدولة البيزنطية وانهم يقتربون من القسطنطينية ومعهم ردود ايجابية[١٠] .

ولم يشأ الامبراطور اطالة أيام نيقـولا مستيكوس على عـرش البطريركية ، ففي نفس اليوم الاول من فبراير سنة ٩٠٧م ، تم القبض عليه وعلى من ناصره من الاساقفة ونفيهم بعد أن رفضوا الموافقة على دخول الامبراطور الكنيسة في اليوم التالي الموافق ٢ من فبراير سنة ٩٠٧م[١١] . وربما كان غرض ليو السادس من هذا الاجراء ابعاد نيقولا مستيكوس عن المجمع المقدس المزمع انعقاده كاجـراء احتياطي[١٢] . وهكذا تم القبض على نيقـولا حيث وضع في قارب صغير ونقل عبر البوسفور الى هيريا Hieria ، من ضواحي خلقدونية Chalcedon ، ثم اقتيد سيرا على الاقـدام وسط انهمار الثلوج الى دير جـالاكرنس Galacrenes الذي كان نيقولا قد أعاد تشييده[١٣] .

وبطبيعة الحال ، كان الامبراطور بحـاجة الى تبرير واضح لعزل البطريرك ، فقام باستدعاء تسع شخصيات ، من علاقات مرموقة من بينهم اثنان من كبار القادة العسكريين ، ممن هجروا معسكر القائد الثائر اندرونيكوس دوقاس ، الى جلسة استماع حضرها عدد من الاساقفة المعتدلين . وفي تلك الجلسة شهد الرجـال التسعة بتواطؤ نيقـولا مستيكوس مع الثائر ، وأكدوا صحة الرسالة التي كتبها نيقولا له[١٤] . وعندما طالب الامبراطور بعقد محاكمة عاجلة لنيقولا ، رد الاساقفة على الفور بأنه قد عزل بالفعل من منصبه ولايجوز توقيع عقوبتين على نفس الشخص لنفس التهمة[١٥] .

وفي الخامس من فبراير سنة ٩٠٧م ، أرسل الامبراطور الى نيقولا مستيكوس يطلب استقالته ، فتردد الأخير وادعى المرض . فأرسل له الامبراطور مرة أخرى رسالة مع ساموناس Samonas الذي اصطحب معه بعض الاساقفة المعتدلين[١٦] . وخاطب الامبراطور في رسالته هذه

نيقولا بدون القلب وطالبه بتقديم استقالته فورا ، وهدده — في حالة الرفض — بإبراز رسالته الى القائد المتمرد اندرونيكوس دوقاس وتقديمه الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى • فقام نيقولا بإخراج ورقة استقالته وعرضها على الاساقفة مؤكدا انه كتبها ووقعها بنفسه[١٧] •
ويلاحظ أن سيرة ايثيميوس Vita Euthymii حرصت على تصوير الاساقفة الذين جاءوا مع مبعوث الامبراطور وكأنهم يجهلون محتوى رسالة الامبراطور أو الغرض من المهمة ، ولهذا فهم لا يوافقون على استقالة نيقولا ويحاولون اقناعه بالعدول عنها ، ولكنه أصر على موقفه وسلمها لسلعوناس[١٨] • وأوضح نيقولا في استقالته انه تنحى عن منصب البطريرك ، دون الانسحاب من السلك الكنسي ، لانه عجز عن اصدار تسامح لصالح ليو السادس[١٩] • وتروى سيرة ايثيميوس أيضا أن نيقولا كتب استقالة ثانية بعد ذلك بمبادرة شخصية من جانبه وأرسلها للامبراطور ، وفيها كرر القول بعجزه عن اصدار التسامح الذى وعد به الامبراطور بسبب الاختلاف حول هذا الامر في الكنيسة ، وانه تنحى عن عرش البطريركية ، مع الاحتفاظ بمركزه كأسقف ، ليتيح الفرصة امام زميل آخر لتسوية القضية[٢٠] •

أشارت سيرة ايثيميوس في أكثر من موضع الى تورط نيقولا مستيكوس في تمرد القائد اندرونيكوس دوقاس • وكان تورطه هذا ورقة استغلها الامبراطور للضغط عليه كما كانت مبررا للتخلص منه • ومن الافضل أن نتوقف قليلا أمام تمرد هذا القائد لنناقش حقيقة تورط البطريرك • وتجدر الاشارة الى أن المراحل المختلفة لتمرد هذا القائد وما ارتبطت به من أحداث كما جاءت في المصادر البيزنطية تبدو مضطربة بسبب عدم استقامة التسلسل الزمنى للاحداث ، ولهذا يجب توخى الحذر[٢١] •

كانت أسرة دوقاس Doukai من الاسر المرموقة التى تنتمى لطبقة

الارستقراطية العسكرية ، التى امتلكت مساحات ضخمة من الاراضى الزراعية والرعوية فى شمال آسيا الصغرى ، واحتكر العديد من أبنائها مناصب القيادة العسكرية وتميزوا فى القتال ضد المسلمين • ومنذ القرن التاسع وحتى القرن الحادى عشر الميلادى ، شكلت هذه الطبقة خطرا دائما على الحكومة المركــزية بسبب تطلع أبنائها لاغتصــاب العرش والتاج[٣٢] • ويبدو أن القائد اندرونيكوس دوقاس ، قد تآمر فى سنة ٩٠٣م ، مع ايستاثيوس ارجيروس Eustathios Argyros وعدد آخر من كبار القادة العسكريين ، ضد الامبراطور ليو السادس[٣٣] • واذا كان ساموناس Samonas ـــ الموظف المسئول عن جهاز الامن السرى والمقرب من الامبراطور ـــ قد نجح فى كشف هذه المؤامرة فى سنة ٩٠٤م ، فان ليو السادس لم يتخذ أى اجراء ضد اندرونيكوس الذى ظل يتولى القيادة العسكرية فى منطقة الحدود البيزنطية الاسلامية حتى سنة ٩٠٥م[٣٤]• ولكن كشف المؤامرة أدى الى استحكام العداء بين القـــائد الكبير من ناحية ، وساموناس الذى ازداد نفوذه بشكل خطير منذ منتصف سنة ٩٠٤م وأصبح المتصرف الحقيقى فى شئون الحكومة والقصر من ناحية أخرى • وأدت دسائس ساموناس الى بداية عصيان اندرونيكوس أوامر الامبراطور ، ثم تمرده واعتصامه فى حصن كافالا Cavala بالقرب من قونيـــة Iconium [٣٥] • وفشلت محاولات الامبراطور لاستمالة القائد الذى رفض كل عروض العفو عنه[٣٦] • واضطر الامبراطور فى النهاية الى ارسال جيش بقيادة القـــائد جريجــــورى ايفريتزس Gregory Iveritzes حيث حاصره فى كافالا Cavala لمدة ستة شهور • وفى النهاية طلب اندرونيكوس الآمان من المسلمين • وبمجرد اجابة طلبه تمكن فى صحبة أسرته وخدمه ومن تبقى من أنصاره فضلا عن مائتى أسير مسلم ضمهم اليه وسلحهم ، باختراق الحصار وشق طريقه الى طرسوس ، ومنها اتجه الى بغداد حيث استقر فيها[٣٧] •

وتنفرد سيرة ايثيميوس بتأكيد تواطؤ نيقولا مستيكوس مع القائد

اندرونيكوس دوقاس • وتشير الى فرار أحد اتباع اندرونيكوس من حصن كافالا الى القسطنطينية حيث قدم للامبراطور أربع رسائل تلقاها القائد المتمرد من العاصمة البيزنطية • وكانت احداها رسالة كتبها نيقولا مستيكوس يخاطب فيهـــا اندرونيكوس بامبراطور المستقبل وتنصحه بالتمسك بموقفه ودعم قواته ومواصلة الثورة وعدم الاستجابة لوعود العفـــو عنه مؤكدا أن القسطنطينية ستكون فى انتظـــاره بعـــد فترة قصيرة[28] •

ولقد شكك بعض المؤرخين الحديثين فى مصداقية هذه الرسالة ، فاعتبرها البعض وثيقة مزورة من اعداد ساموناس استهدفت تبرير عزل البطريرك[29]• واعتبرها البعض الآخر رواية من اعداد أنصار ايثيميوس الذين كانوا دائما على استعداد للاساءة الى سمعة نيقولا مستيكوس[30]• ومهما اختلفت الآراء فيجب ألا ننسى أن تورط البطريرك بهذه الصورة يمثل عنصرا رئيسيا فى سياق رواية صاحب سيرة ايثيميوس وتفسيره للاحداث : فقـــد أدى اكتشاف المؤامرة وافتضاح أمر البطريرك الى اذعانه لكل رغبات الامبراطور ، ثم كان علمه بعـــزم الامبراطور على التخلص منه سببا فى انقلابه وتحوله الى المعارضة فى شتاء ٩٠٦/٩٠٧م•

وكيفما كان الامر ، يمكن تفسير موقف نيقولا مستيكوس من ليو السادس طوال عام ٩٠٦م وحتى عزله فى أول فبراير سنة ٩٠٧م بشكل مستقل تماما عن مسألة تورطه فى تمرد اندرونيكوس كما سبق أن أشرنا • ومع ذلك يظل احتمال تواطؤ نيقولا مع اندرونيكوس دوقاس أمرا واردا ، ويمكن النظر اليه كمحاولة يائسة من جانب البطريرك للخروج من الازمة التى وجد نفسه فيها فى سنة ٩٠٦م[31] •

وباستقالة نيقولا مستيكوس أصبح فى امكان الامبراطور ترشيح بطريرك جديد • ويروى صاحب سيرة ايثيميوس ـــ وهـــو مصدرنا الرئيسى فيما يلى من أحداث ـــ ان آراء الاساقفة والامبراطور اجتمعت

على تفضيل اختيار ايثيميوس ، الذى كان راهبا تقيا يحظى باحترام الجميع[٣٢] • فذهب وفد من الاساقفة لزيارة الراهب فى دير بساماثيا Psamathia للتعبير عن الرغبة فى ترشيحه لشغل عرش بطريركية القسطنطينية ، ولكنه رفض العرض • وحاول أعضاء الوفد اقناع ايثيميوس دون جدوى ، فأكدوا له أن نيقولا مستيكوس استقال بمحض ارادته ، وانه فى الوقت الذى طالبهم فيه بالثبات وعدم الاستقالة من كراسيهم الاسقفية ، كان هو أول من كتب استقالته وتجاهل توسلاتهم بالعدول عنها[٣٣] • ويلاحظ أن هذه العبارة ستصبح دعوى ثابتة يرددها أنصار ايثيميوس فى مواجهة ادعاء نيقولا مستيكوس بعد ذلك بأنه البطريرك الشرعى الوحيد •

واضطر الامبراطور الى الذهاب بنفسه لاستمالة ايثيميوس • وأوضح له الامبراطور انه اذا لم يقبل عرش البطريركية فلن يكون هناك أمل فى غفران ذنبه وحل مشكلته وسيترتب على ذلك وقوع شر أكبر وهرطقة[٣٤] • وربما يكون فى هذا القول تلميح الى ما أشارت له احدى الحوليات البيزنطية عن تفكير الامبراطور فى اصدار قانون جديد ينص على اباحة الزواج للمرة الرابعة[٣٥] • وكانت اجابة ايثيميوس واضحة فلا يجوز تنصيب بطريرك جديد بينما نيقولا مستيكوس لا يزال على قيد الحياة ، وقد عزل من منصبه بصورة غير شرعية وبدون قرار مجمع كنسى[٣٦] • فروى الامبراطور ما جرى من أحداث وعرض على الراهب وثيقة استقالة نيقولا ليقرأها • وتعتبر هذه الوثيقة الاستقالة الثالثة التى أشارت لها سيرة ايثيميوس ، ويلاحظ أنها موجهة الى الاساقفة وتختلف الى حد ما عن الاستقالتين السابقتين • وفى هذه الوثيقة يشير نيقولا مرة أخرى الى الاختلاف بين الاساقفة الذى ما كان يجب أن يحدث • ولكن بما انهم قد وافقوا على اصدار تسامح فى زواج الامبراطور ، فانه يعترف باجماعهم ويستقيل من كرسى البطريركية[٣٧] • وبعد اقتناع ايثيميوس بما جاء فى وثيقة استقالة نيقولا ، أوضح

لمرة على يعرض • وبعد بضعة ايام (ربما بعد منتصف فبراير سنة ٩٠٧م) قام ليو السادس مرة أخرى بزيارة ايثيميوس ، وبصحبته مبعوثيه ليو خويروسفاكتس Leo Choirosphactes وسيميون Symeon اللذين وصلا الى القسطنطينية بصحبة ممثلي كنائس الشرق والغرب[٣٨]. وقدم له الامبراطور الوثائق التي تضمنت أحكام البابوية وبطريركيات المشرق في أمر زواجه للمرة الرابعة وكانت جميعها ردودا ايجابية • وفي نفس الوقت كان معظم أساقفة الكنيسة البيزنطية قد وافقوا كتابة على استقبال الامبراطور في الكنيسة لبدء فترة تكفير عن ذنبه • ولم يكن أمام ايثيميوس سوى قبول كرسي البطريركية[٣٩] •

وقام الامبراطور ليو السادس بدعوة أساقفة الكنيسة البيزنطية وممثلي البابوية وبطريركيات المشرق لحضور مجمع ديني انعقد على الارجح في أواخر فبراير سنة ٩٠٧م للنظر في قضية زواجه الرابع[٤٠]. وقرر المجمع في النهاية الموافقة على اقتراح مندوبي البابوية بالتسامح في زواج الامبراطور ، والسماح بدخوله الكنيسة كي يبدأ فترة تكفير عن ذنبه ، دون المطالبة بانفصاله عن زوجته • كذلك اعتمد المجمع اعتزال نيقولا مستيكوس منصبه ، ووافق على ارتقاء ايثيميوس كرسي بطريركية القسطنطينية[٤١] • وهكذا حقق ليو السادس هدفه بعد أن قام بكل ما هو ضروري لتأكيد شرعية ابنه وضمان حقه في وراثة العرش•

ولكن ما الذى أصاب الكنيسة البيزنطية ؟ ولماذا تبدلت المواقع التقليدية لتياراتها ؟ فحتى يناير سنة ٩٠٧م كان التيار المعتدل المعروف بولائه للتصر ، الذي يمثله أنصار البطريرك السابق فوتيوس وعلى رأسه البطريرك نيقولا مستيكوس يؤيدون التسامح في زواج الامبراطور، بينما كان التيار المتشدد المعارض ويمثله أنصار البطريرك السابق اجناتيوس ومن قطابه ايثيميوس يعارضون الاعتراف بزواج الامبراطور

ويطالبون بانفصاله عن زوجته . وأمام إصرار المعارضة على الرفض اضطر نيقولا مستيكوس إلى العدول عن رأيه والاستقالة من منصبه في النهاية . وعلى غير المتوقع انقلبت المعارضة وعلى رأسها الآن ايثيميوس وارثاس وبدلت موقفها وجاءت راضية لتوافق على التسامح في زواج كانت تعتبره حتى الأمس القريب علاقة محرمة . ويرى المؤرخ الروسي بوبوف Popov أن أنصار اجناتيوس الذين مثلوا المعارضة منذ عودة فوتيوس إلى عـرش البطريركية سـنة ٨٧٧م ، كانوا على استعداد للتضحية بمبادئهم من أجل استرداد السلطة والعودة لقيـادة الكنيسة البيزنطية[٤٢] . وهكذا اعتلى ايثيميوس عرش البطريركية وأصبح على رأس التيار المعتدل في أواخر فبراير سنة ٩٠٧م ، بينما تحول البطريرك المنفي نيقولا مستيكوس ليمثل التيار المتشدد والمعارضة . واستمرت كنيسة روما الحليف القـديم لاجناتيوس وأنصـاره تؤيد خلفاءهم ايثيميوس وأنصاره في موقفهم الجديد[٤٣] .

وتجدر الاشارة إلى أن سيرة ايثيميوس تؤكد باستمرار على أهمية حكم البابوية في المسألة المتنازع عليها . وكان قرار التسامح في زواج الامبراطور الذي جاء به مندوبو كنيسة روما عاملا حاسما في تحقيق رغبـة ليو السادس ، كما كان مشجعا لايثيميوس في قبـول عرش البطريركية[٤٤] . ويجب ألا ننسى أن البابوية لم تقم بتغيير مبادئها أو مخالفة قوانينها من أجل دعم الامبراطور البيزنطي في الخلاف القائم بينه وبين كنيسته ، بل كان قرارها متفقا مع وجهة نظرها في مسألة تكرار الزواج بسبب الوفاة . وعلى هـذا وافق البـابا سرجيوس الثالث Sergius III (٩٠٤ — ٩١١م) على التسامح في زواج ليـو السادس للمرة الرابعة لأن زوجاته الثلاث توفين على التوالي . وبوفاتهن انتهت كل روابط الزوجية شكلا وقـانونا ، مما يؤهـل الامبراطور لزواج جديد[٤٥] .

وبارتقاء ايثيميوس عرش بطريركية القسطنطينية حل الانقسام فى الكنيسة البيزنطية من جديد ، الامر الذى حاول نيقولا مستيكوس أن يتجنبه • وكان الانقسام هـذه المرة بين أولئك الذين وافقوا على التسامح فى زواج الامبراطور واستقباله فى الكنيسة من ناحية ، وأولئك الذين وقفوا الى جانب نيقولا مستيكوس وتمسكوا بأنه البطريرك الشرعى الوحيد من ناحية أخرى • وانضم الى هذا الفريق الاخير عدد ممن رفضوا التسامح فى الزواج الرابع دائما ، مثل الراهب نيكتاس البافلاجونى[٤٦] • وبطبيعة الحال تعرض هذا الفريق المعارض لغضب السلطة ، فكان العزل والنفى أو السجن من نصيب أعضائه[٤٧] • وكان ارثاس وابيفانيوس Epiphanios من الاساقفة الاوائل فى معسكر المعارضة • وبعد رفضهما حضور المأدبة الرسمية المعتادة بعد قداس عيد الميلاد فى القصر الامبراطورى قام الامبراطور بنفيهما الى تراقيا Thrace[٤٨] • ولكن ارثاس عرف بسرعة طريق العودة وارضاء السلطة بعد أن استنفدت معارضته أغراضها • فبعد تنصيب ايثيميوس بطريركا كتب ارثاس الى الامبراطور وطلب الاذن بالخروج من منفاه للقاء البطريرك الجديد ، فأذن له • وحضر بالفعل الى القسطنطينية والتقى ايثيميوس ، ثم توجه بعد ذلك الى القصر ليعلن للامبراطور أنه توصل الى تفاهم مع البطريرك الجديد ، وسوى خلافه مع الكنيسة ، وانه بالتالى يوافق على تسامحها فى أمره[٤٩] • وترتب على هـذه المصالحة استرداد ارثاس موقعه ومزاولته مهام منصبه على رأس أسقفية قيصرية• ورغم أن سيرة ايثيميوس ترجع تحول ارثاس عن المعارضة الى تأثير البطريرك ايثيميوس عليه[٥٠] ، فمن المرجح أن عداءه الشخصى لنيقولا مستيكوس كان السبب الرئيسى فى معارضته الاولى وفى انقلابه الاخير• ففى البداية انضم ارثاس للتيار المعارض للتسامح فى زواج الامبراطور فى الوقت الذى كان نيقولا مستيكوس يعمل من أجل تحقيق هذا التسامح• ونجح ارثاس بمعارضته العنيفة فى احراج نيقولا واسقاطه فى النهاية • وبسقوطه لم يعد هناك مبرر لمعارضة ارثاس فبدل موقعه وعدل سياسته

وأرضى الامبراطور ولكنه استمر يهاجم البطريرك المعزول وأنصاره من قاعدة قوية وآمنة[٥١] • وفي دفاعه عن نفسه يذكر ارثاس أنه لم يكن مخالفا لقوانين الكنيسة في معارضته الاولى وانه تشبث بموقفه رغم الضغوط وعارض بالقلم وبالفعل وانه يستحق الثناء على ذلك • كما يذكر انه ليس نادما على معارضته الاولى ، لكن مصالح الكنيسة كانت السبب الرئيسي في قراره بنبذ المعارضة وتسوية خلافه مع القصر[٥٢] •

وجدير بالذكر أن ايثيميوس لم يكن ، خلال فترة بطريركيته ، تابعا خاضعا لمشيئة القصر بل احتفظ بسلطاته وحرص على استقلال قراره وخاصة في الامور التي تمس المصلحة العليا للكنيسة • ورغم تسامحه في زواج ليو السادس واستقباله في الكنيسة الا أنه رفض اعلان زوجته زوى امبراطورة Augusta رسميا في الكنيسة ، كما رفض وضع اسمها في السجلات الكنسية أو ترديده في الصلوات — كما جرى العرف — رغم كل الضغوط التي تعرض لها من جانب الامبراطورة وأقاربها[٥٣]• وكانت وجهة نظر ايثيميوس أن الكنيسة البيزنطية تسامحت في زواج الامبراطور باعتبار فعله حالة تسامح استثنائية ولم تضع قانونا أو قررت حكما باعتبار مثل تلك الزيجات مشروعة • أكثر من هذا ، أمر البطريرك بتحريم كل صور التسامح في المستقبل تجاه الزواج للمرة الرابعة نهائيا[٥٤] • ولم يكن أمام الامبراطورة زوى سوى الاكتفاء بالاعتراف الرسمي بها من قبل السناتو[٥٥] • ولكن ايثيميوس لم يعترض على تتويج الطفل قسطنطين بورفيروجنيتوس Constantine Porphyrogenitos امبراطورا مشاركا مع أبيه ، وقام بتتويجه يوم الاحد الموافق ١٥ من مايو سنة ٩٠٨م عندما كان قسطنطين في الثالثة من عمره[٥٦] •



حواشى الفصل الرابع

١ ـ وتعتبر هذه الوليمة من مظاهر الاحتفال الرسمى بعيد العماد Epiphany وتتطلب حضور البطريرك واعضاء المجمع الدائم للبطريركية ، انظر :

Bury, **Admin. System**, pp. 162-164.

٢ ـ **Vita Euthymii**, pp. 79, 208.

٣ ـ **Vita Euthymii**, pp. 79-81.

٤ ـ **Vita Euthymii**, p. 81.

٥ ـ **Vita Euthymii**, pp. 81-83.

٦ ـ **Vita Euthymii**, pp. 83, 209-210; Grumel, **Les Regestes**, no. 611, p. 140; Karlin-Hayter, **Arethas Documents IV**, p. 289.

وانظر ايضا : محمود سعيد عمران : نيقولا مستيقوس ، ص ١١ ·

٧ ـ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 224; **Vita Euthymii**, p.83; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, p.50.

٨ ـ **Vita Euthymii**, p. 83.

٩ ـ **Vita Euthymii**, p. 85-87.

١٠ ـ علم الامبراطور ان مندوبى بطريركيات المشرق (انطاكية ، بيت المقدس ، الاسكندرية) فى طريقهم الى القسطنطينية من رسالة وصلته من مبعوثه ليو خويروسفاكتس الذى كان مكلفا بمهمة احضارهم الى القسطنطينية ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 87, 211.

ويذكر ليو خويروسفاكتس نفسه فى رسالته رقم (٢٣) انه احضر معه مندوبين عن كنيستى انطاكية وبيت المقدس دون الاشارة الى الاسكندرية ، انظر :

Kolias, **Léon Choerosphactès**, p. 113.

وجدير بالذكر ان كرسى بطريركية الاسكندرية كان شاغرا فى ذلك الوقت . وكان سمعان الاول على رأس بطريركية انطاكية حتى سنة ٩٠٧م ، وتلاه اليـاس الاول Elias I حتى سنة ٩٣٤م . أما بطريركية بيت المقدس فكان على رأسهـا الياس الثالث Elias III (٨٧٨ ــ ٩٠٧م) ، ثم تلاه سرجيوس الثانى (٩٠٧ ــ ٩١١م) ، انظر :

Grumel, La Chronologie, pp. 443, 447, 452.

كذلك علم الامبراطور بالرد الايجـابى للبـابا سرجيوس الثـالث Sergius III (٩٠٤ ــ ٩١١م) من رسـالة وصلته عن السـكرتير الامبراطورى سـيميون ، الذى كتب للامبراطور من اوترانتـو Otranto بإيطاليا ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 87, 211.

وللمزيد عن هذا السكرتير الامبراطورى ، انظر :

Theoph. Cont., p. 368; **Sym. Mag.**, p. 707; **G. Mon. Cont.**, p. 863;

Browning, **Correspondence**, p. 431.

١١ ــ **Vita Euthymii**, pp. 87, 212; **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 224; Oikonomidès, **Dernière Volonté**, p. 46.

١٢ ــ ذكر نيقولا مستيكوس فى رسالته الى البابا اناستاسيوس الثالث ، ان الامبراطور منع اتصاله بمندوبى البابوية ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 224.

وقارن أيضا :

Vita Euthymii, pp. 197-199; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 62.

١٣ ــ **Vita Euthymii**, pp. 87-89; **Theoph. Cont.**, p. 371; **Sym. Mag.**, p. 709; **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Leo Gramm.**, pp. 279-280; **Scylitzes**, p. 185; **Guilland, Les Noces**, p. 17.

وللمزيد عن ضاحية هيريا ودير جالاكرنس Galacrenes انظر :

Janin, Constantinople, pp. 453-454; Janin, **Hiéria**, pp. 50-58.

١٤ – **Vita Euthymii**, p. 89.

١٥ – **Vita Euthymii**, p. 89-91.

١٦ – **Vita Euthymii**, pp. 91, 212.

١٧ – **Vita Euthymii**, pp. 93, 214; Grumel, **Les Regestes**, no. 612, p. 141.

١٨ – **Vita Euthymii**, pp. 93, 214.

١٩ – **Vita Euthymii**, p. 93; Grumel, **Les Regestes**, no. 612, p. 141.

٢٠ – **Vita Euthymii**, p. 93; Grumel, **Les Regestes**, no. 613 p. 141.

٢١ – تختلف المصادر البيزنطية فى بيان أسباب عصيان القائد اندرونيكوس دوقاس وابعاد تمرده ، فسيرة ايثيميوس ، التى تتخذ موقفا معاديا منه ومن نيقولا مستيكوس ، تصور عصيانه فى شكل ثورة استهدفت الاطاحة بالامبراطور واغتصاب العرش وتورطت فيها عدة شخصيات من بينها البطريرك ، كما تشير بوضوح الى لجوء الثائر الى بغداد قبل عزل نيقولا مستيكوس ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 69, 71, 73, 77, 190-191.

اما الحوليات البيزنطية التى استقت مادتها من حولية سيميون اللغثيث ، فتميل الى تمجيد اسرة دوقاس **Doukai** والدفاع عن اندرونيكوس وتقدم رواية موجزة ومضطربة مؤداها ان القائد الكبير وقع ضحية دسائس ساموناس ، وعندما ادرك ذلك كان الوقت قد تأخر فاضطر الى الاعتصام فى حصن كافالا **Cavala** ، كما تشير بوضوح الى لجوء الثائر الى بغداد بعد ان علم بعزل البطريرك نيقولا مستيكوس انظر :

Theoph. Cont., pp. 371-373, 374; **Sym. Mag.**, pp. 710-711; **G. Mon. Cont.**, pp. 867-868; **Leo Gramm.**, pp. 280-281; **Scylitzes**, p. 187.

٢٢ – Jenkins, **Flight of Samonas**, pp. 219, 223-224.

وتجدر الاشارة الى ان أسرة دوقاس احتلت مكانة رفيعة فى نفوس البيزنطيين ، ويظهر هذا بوضوح فى الادب البيزنطى ، وكان بطل ملاحم القتال فى منطقة الحدود البيزنطية الاسلامية ديجن الكريتس **Digenis Akrites** يمت بصلة قرابة لهذه الاسرة ، اذ كانت

أمه ابنة القائد اندرونيكوس دوقاس، انظـر :

Mavrogordato, Digenes Akrites, p. 6 and introd. pp. xxx-xxxi.

ويروى المؤرخ البيزنطى ميخائيـل بسللوس انه فى ايامه (النصف الثـانى من القرن الحادى عشر الميلادى) كان اسم أسرة دوقاس يتردد بالمديح فى الاغانى الشعبية ، كمـا كان اسـم اندرونيكوس دوقاس وابنه قسطنطين على كل لسان ، انظر :

Psellos, Chronographie, II, p. 140.

والمزيد عن اسرة دوقاس ومكانتها فى المجتمع البيزنطى ، انظر :

Polemis, The Doukai, pp. 1-15.

٢٣ ـ وربما حاول المتـآمرون الحصـول على دعم بحرى من السلطات الاسلامية فى ثغر طرسـوس ، ففى هذا تفسير لخط سير الحملة البحـرية الاسـلامية التى قادها ليـو الطرابلسى **Leo of Tripoli** فى يوليـو سنة ٩٠٤م ، والتى انتهت باقتحـام مدينـة سـالونيكا **Thessaloniki** ثانى أكبر المدن البيزنطية ، انظر :

Jenkins, Flight of Samonas, pp. 223-231.

٢٤ ـ يشير الطبرى الى اغارة قام بها اندرونيكوس دوقاس على مرعش ونواحيها فى خريف سنة ٩٠٤م/٢٩٢هـ ، انظر :

الطبرى : **تاريخ الرسل والملوك** ، جـ ١٠ ، ص ١١٨ .

وربما كانت هذه الاغارة انتقاما من الحملة الاسلامية ضد سالونيكا فى صيف نفس العام ، انظر :

Vasiliev, Byzance et les Arabes, II/1, p. 181; Canard, Deux Episodes, p. 56.

ويبدو أن اندرونيكوس استمر فى عملياته العسكرية فى نفس المنطقة فى العام التالى سنة ٩٠٥م .

انظـر :

Polemis, The Doukai, pp. 17-18.

٢٥ ـ للمزيد عن العـداء بين ساموناس واندرونيكوس دوقاس وعصيان الاخير لأوامر الامبراطور ، انظر :

Theoph. Cont., pp. 369, 371-372; **Sym. Mag.**, pp. 708, 710; **G. Mon. Cont.**, pp. 863-864; Karlin-Hayter, **Andronicus Ducas**, p. 24; Vasiliev, **Byzance et les Arabes**, II/1, pp. 184-187.

وعن موقع حصن كافالا Cavala (Kavalla) ، انظر :

Polemis, **The Doukai**, p. 18, n. 7; Ramsay, **Historical Geography**, p. 359.

٣٦ ـ **Vita Euthymii**, p. 69.

٣٧ ـ انظر حاشية رقم (٢١) ، وانظر ايضا :

الطبرى : **تاريخ الرسل والملوك** ، جـ ١٠ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ، ١٣٦ ، المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) : **التنبيه والاشراف** ، نشر لجنة تحقيق التراث ، (دار الهلال ، بيروت ١٩٨١) ، ص ١٦٤ .

وانظر كذلك :

Canard, **Deux Episodes**, pp. 56-57; Vasiliev, **Byzance et les Arabes**, II/1, pp. 187-188; Karlin-Hayter, **Andronicus Ducas**, p. 24.

٣٨ ـ **Vita Euthymii**, pp. 69-71; Grumel, **Les Regestes**, no. 601, p. 136; Vasiliev, **Byzance et les Arabes**, II/1, p. 189.

٣٩ ـ Popov, **Imperator Leo VI**, pp. 101-102.

٤٠ ـ Polemis, **The Doukai**, p. 19.

٤١ ـ Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 347.

٤٢ ـ ولد ايثيميوس حوالى سنة ٨٣٢م فى سلوقية **Seleucia** باقليم ايسوريا **Isauria** بجنوب شرق آسيا الصغرى ، وكان يمت بصلة قرابة للقديس جريجورى ديكابوليت **Gregory Decapolite** ، بدأ حياته راهبا فى أحد اديرة بيثينيا (جبل الاوليمب **M. Olympos**) ثم عرف طريقه الى العاصمة . ولقد جذبت تقواه وفضائله الامبراطور ليو السادس فعينه فى منصب **Syncellos** اى مساعدا ومستشارا لأخيه البطريرك ستفن **Stephen** فى عام ٨٨٨/٨٨٩م ، ثم أصبح أب الاعتراف لليو السادس . وشيد له الامبراطور دير بساماثيا

Psamathia الذى يقع بالقرب من دير ستوديو Studios في القسطنطينية ، انظر مقدمة سيرة ايثيميوس :

Vita Euthymii, p. 31, n. 2.

وانظر أيضا :

Jugie, Vie d'Euthyme, pp. 385-395.

وعن منصب Syncellos ، انظر ايضا :

Bury, Admin. System, pp. 116-117.

وكانت فضائل ايثيميوس موضوع المرثية التى القاها ارثاس في حفل تأبينه في دير بساماثيا ، انظر نص هذه المرثية Epitaphios في :

Arethas,Scripta Minora, I, pp. 83-93.

ويبدو أن ايثيميوس تمتع باحترام كبير لأن الحوليات البيزنطية تمتدح فضائله أيضا ، انظر :

Theoph. Cont., p. 371; **Sym. Mag.**, p. 709; **G. Mon. Cont.**, pp. 865-866; **Scylitzes**, p. 185; **Zonaras,** III, p. 449.

٣٣ - **Vita Euthymii**, pp. 95-97.

٣٤ - **Vita Euthymii**, p. 97.

٣٥ - انظر الفصل الثالث ، حاشية (١٤) .

٣٦ - **Vita Euthymii**, p. 99.

٣٧ - يلاحظ أن هناك جماعة صغيرة من الأساقفة ظلت ترفض التسامح كما سيتضح بعد ذلك ، وعلى هذا فالموافقة لم تكن بالاجماع . للمزيد عن مضمون هذه الاستقالة ، انظر :

Vita Euthymii, p. 99; Grumel, **Les Regestes**, no. 614, pp. 141-142.

٣٨ - **Vita Euthymii**, p. 101.

يلاحظ أن الاشارة الى وصول مبعوث بطريركية الاسكندرية واضحة في رواية صاحب سيرة ايثيميوس ، قارن حاشية رقم (١٠) . اما بالنسبة لتوقيت وصول مبعوثى البابوية ، فتختلف رواية نيقولا مستيكوس عن رواية صاحب السيرة ، فالاول يذكر أنهم وصلوا قبل عيد القديس تريفون : St. Tryphon (الذى يوافق ١ فبراير ٩٠٧م) ، بينما يذكر الثانى أنهم كانوا في طريقهم الى العاصمة

البيزنطية في ذلك اليوم ، أي انهم وصلوا بعد نفي نيقولا وليس قبله - ورغم ذلك تتفق الروايات على حقيقة ان نيقولا لم يلتق بهم - قارن بين :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 224;

Vita Euthymii, pp. 85-87.

٣٩ - **Vita Euthymii**, pp. 101-103; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 85-86.

٤٠ - لم تصلنا للأسف نصوص قرارات هذا المجمع - وتعتقد الاستاذة كارلين هيتر ان المجمع انعقد في مارس سنة ٩٠٧م ، وان نيقولا مستيكوس قام بعد استرداده عرش البطريركية سنة ٩١٢م بازالة كل أثر لقراراته ، انظر :

Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 68-69.

ومن المرجح انعقاد هذا المجمع في أواخر فبراير على أساس التسلسل الزمني للأحداث كما وردت في سيرة ايثيميوس - ويميل الاستاذ جرومل الى الاعتقاد أن ايثيميوس اعتلى عرش البطريركية في فبراير سنة ٩٠٧م ، انظر :

Grumel, **La Chronologie**, p. 436.

٤١ - **Vita Euthymii**, pp. 101, 139-141; Arethas, **Scripta Minora, I**, p. 86; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 69; Grégoire, **Macedonians**, p. 132.

٤٢ - Popov, **Imperator Leo VI**, pp. 164-165.

وأيد الاستاذ جنكنز هذا التفسير ، انظر :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 342-343.

٤٣ - Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 90-92; Dvornik, **Photian Schism**, pp. 275-277.

٤٤ - **Vita Euthymii**, pp. 73, 85-87, 99, 101, 139-141.

وقارن أيضا :

Jenkins and Laourdas, Letters of Arethas, p. 345.

٤٥ - انظر ما سبق ذكره بالنسبة لموقف كنيسة روما من مسألة تكرار الزواج ، وقارن الفصل الأول ، حاشية (٣٣) .

٤٦ - Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 346.

٤٧ - أشار نيقولا مستيكوس فى رسائله الى ألوان الاضطهاد التى تعرض لهـا هو وأنصاره ، انظـر مثـلا رسـالته رقم (٣٢) الى البـابا انا ستاسيوس الثالث ، ورسالته رقم (١٣٢) الى جريجورى اسقف افسوس Gregory of Ephesus وفوتيـوس اسـقف هرقلة Photios of Heraclea فى المنفى ، فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 32, 132, pp. 224, 430.

اما نيكتاس البافلاجونى فكان نصيبه من الاضطهاد كبيـرا ، وقد تدخل البطريرك ايثيميوس بنفسه لانقاذه من غضب الامبراطور . للمزيد عن اضطهاد نيكتاس ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 105-109, 217-220.

٤٨ - **Vita Euthymii**, p. 103; Karlin-Hayter, **Texts**, pp. 364, 386-388; Kougeas, **Kaisareias Arethas**, p. 75.

٤٩ - **Vita Euthymii**, pp. 103-105; Karlin-Hayter, **New Arethas Texts**, p. 275; Jenkins, **Imperial Centuries**, pp. 224-225.

٥٠ - **Vita Euthymii, p. 103.**

٥١ - Karlin-Hayter, **Arethas Documents V**, p. 49; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 345-346, 350-351.

ويلاحظ أن ارثاس حاول فى رسالة بعثها الى نيكتاس البافلاجونى اخفاء ارتياحه لسقوط نيقولا مستيكوس انظر :

Karlin-Hayter, Texts, pp. 382-388.

كمـا عبر ارثاس للامبراطور عن سعادته باعتـلاء ايثيميوس عرش البطريركية ، انظر :

Vita Euthymii, p. 105.

٥٢ - كان ارثاس فى حاجة الى تبرير تبدل موقفه ونبذه للمعارضة ، ومن بين كتاباته نصان يتضمنان دفاعه عن نفسه ومبررات موافقته فى آخر الأمر على التسامح فى زواج الامبراطور ، وتعتقد الاستاذة كارلين

هيتر ان النص الأول عبارة عن مسودة للنص الثانى الذى القاه ارثاس فى اجتماع المجمع الكنسى لبطريركية القسطنطينية وفى حضور ايثيميوس يوم ٨ من نوفمبر سنة ٩٠٨م ، انظر هذين النصين فى :

Karlin-Hayter, **New Arethas Texts**, pp. 275, 279-307.

ولقد نشرت الأستاذة كارلين هيتر مجموعة نصوص أخرى لارثاس من بينها تفسير وتعليق على أحكام القديس باسيل فى حالات تكرار الزواج ، وفيها حاول ارثاس تفسير قوانين الكنيسة بصورة تتفق مع موقفه الجديد من التسامح فى زواج الامبراطور ، انظر نص هذا التفسير لأحكام القديس باسيل فى :

Karlin-Hayter, **Arethas Documents V**, pp. 59-67.

٥٣ ـ **VitaEuthymii**, pp. 109-113, 135; Grumel, **Les Regestes**, nos. 627, 628, p. 147.

٥٤ ـ **Vita Euthymii**, p. 109; Grumel, **Les Regestes**, no. 626 pp. 146- 147.

٥٥ ـ **Vita Euthymii**, p. 111.

٥٦ ـ **Theoph. Cont.**, p. 375; **Sym. Mag.**, pp. 711-712; **G. Mon. Cont.**, p. 868.

وجدير بالذكر أن سيرة ايثيميوس لا تشير الى قيام البطريرك بتتويج قسطنطين السابع كما أشارت الحوليات سابقة الذكر ، ولكنها تشير بشكل عارض الى قسطنطين المتوج ، وربما كان وصف احتفال تتويج قسطنطين يدخل ضمن الجزء المفقود من سيرة ايثيميوس ، انظر :

Vita Euthymii, p. 111, 113, 223.

وكان الاعتقاد فى السابق ان تتويج قسطنطين جرى فى ٩ من يونيو سنة ٩١١م ، ولكن دراسة الأستاذين جريرسون ، وجنكنز المشتركة صححت هذا التاريخ وأثبتت ان التتويج حدث يوم ١٥ من مايو سنة ٩٠٨م ، انظر :

Grierson and Jenkins, Coronation, p. 137.



الفصل الخامس

عزل ايثيميوس واسترداد نيقولا مستيكوس عرش البطريركيـة



استمر ايثيميوس على رأس الكنيسة البيزنطية طـوال السنوات المتبقية من عمر ليـو السادس ، ثم تبدل الحال فى سنة ٩١٢م وعاد نيقولا ليمتطى عرش البطريركية مرة أخـرى بعد أن أمضى فى المنفى حول خمس سنوات . ففى الحـادى عشر من مايو سنة ٩١٢م توفى الامبراطور ليو السادس وخلفه على العرش أخـوه الاصغر اسكندر Alexander (٩١٢ — ٩١٣م) الى جانب قسطنطين السابع الذى كان طفلا فى السابعة من عمره[1] . وقبل وفاته أوصى ليو السادس أعضاء السناتو بزوجته وطفله ، كما ناشد أخاه اسكندر أن يحمى الطفل الصغير ويرعاه[2] . وتختلف المصادر فى تحديد الامبراطور الذى قام باستدعاء نيقولا من منفاه ورد عرش البطريركية اليه . فنيقولا مستيكوس يذكر فى رسالته الى البابا أنستاسيوس الثـالث Anastasius III أن الامبراطور الثالث ليو السادس قام قبيل وفاته باستدعائه من المنفى ليسترد مكانته على رأس الكنيسة البيزنطية[3] . كمـا تؤكد الوثيقة المعروفة «بالوصية الاخيرة» المنسوبة الى ليو السادس على مشاعر الندم التى اجتاحت الامبراطور فى أيامه الاخيرة وأمله فى الحصول على عفو وعطف نيقولا الذى استعاد الآن مكانته فى الكنيسة البيزنطية[4] . أما الحوليات البيزنطية فانها تنسب قرار استدعاء نيقولا من منفاه ورد عرش البطريركية اليه الى الامبراطور اسكندر ، وتعتبر هذا القرار أول قرارات الامبراطور الجديد[5] . أما سـيرة ايثيميوس فيلاحظ أنها لاتفيدنا فى هذه المسألة لان هذا الحدث يدخل غالبـا ضمن الصفحات المفقودة من هذا المصدر الهام .

ورغم أختلاف المصادر يمكن القول أن قيام الامبراطور المحتضر ليو السادس باصدار أمر استدعاء نيقولا من منفاه أمر وارد . فالمعروف

أن ليو السادس كانت تتملكه مشاعر دينية قوية رغم خطاياه الدنيوية، والآن وهو يحتضر ، ربما أراد تحرير ضميره من عذاب شديد ، فقام باستدعاء البطريرك الذى أصدر ضده قرار الحرمان ورد له اعتباره . لقد كان اسكندر وقت احتضار ليو هو المتصرف الحقيقى فى شئون الحكم ، ومن المرجح قيامه بتنفيذ استدعاء نيقولا فأصبح بذلك مشاركا فى الامر . وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين المحدثين يرى أن استدعاء نيقولا من المنفى ورد اعتباره بأمر ليو السادس لم يصاحبه العزل الفورى لايثيميوس ، وأن فترة مرض واحتضار ليو السادس، التى امتدت من أوائل مارس وحتى ١٣ من مايو سنة ٩١٢م ، قد شهدت وجود بطريركين فى نفس الوقت . فايثيميوس كان البطريرك اسميا بينما كان نيقولا مستيكوس يتولى فعليا ادارة شئون الكنيسة البيزنطية[١] .

على أية حال ، عندما رفض ايثيميوس التنحى عن منصبه ، دعا الامبراطور اسكندر الى عقد مجمع دينى محدود فى يونيو سنة ٩١٢م فى القصر الامبراطورى حضره عدد من رجال الكنيسة المعارضين للزواج الرابع والاساقفة الذين تخلوا عن ايثيميوس ، كما حضره بعض أعضاء مجلس السناتو . وترأس الامبراطور اسكندر ونيقولا مستيكوس هذا المجمع الذى خصص لمحاكمة ايثيميوس بتهمة الزواج من الكنيسة بصورة غير شرعية لاعتلائه عرش البطريركية بينما البطريرك الاصلى لا يزال على قيد الحياة . وتقدم المصادر البيزنطية وصفا مثيرا لهذه المحاكمة التى تعرض فيها البطريرك المسن للمهانة والاذى،ورغم دفاع ايثيميوس عن نفسه صدر الحكم بادانته فتم تجريده من ردائه الكنسى وشاراته الرسمية ونفيه الى دير القديس اجاثوس St. Agathos [٢] .

باسترداد نيقولا مستيكوس منصبه الرسمى على رأس بطريركية القسطنطينية بدأت حركة تطهير فى الكنيسة البيزنطية راح ضحيتها عدد

من أنصار البطريرك السابق • ورغم اشارة المصادر الى قيام نيقولا بعزل عدد كبير من القساوسة وصغار رجال الدين[8] ، فان عدد المعزولين من كبار رجال الدين اقتصر على أربعة أو خمسة من الاساقفة بينما تمسك الاخرون بكراسيهم الاسقفية ورفضوا الاستقالة في معارضة صريحة لنيقولا مستيكوس[9] • وكان على رأس المعارضة ارثاس أسقف قيصرية المعروف الذى ربما كان يتطلع لخلافة ايثيميوس على عرش البطريركية[10] • حاول نيقولا مستيكوس عزل ارثاس وغيره من أقطاب المعارضة ، الا أن أسقف قيصرية رفض الاعتراف بسلطانه وتحداه أن يستصدر مرسوما امبراطوريا بعزله ، فاضطر نيقولا الى التراجع بعد أن باءت محاولاته بالفشل[11] •

هكذا بدأ فصل جديد من فصول الانشقاق في الكنيسة البيزنطية اتسم بالجدل العنيف وتبادل الاتهامات ومحاولة كل طرف تبرير مواقفه وتفسير قراراته • ويكفي أن نطالع الرسائل التى كتبها نيقولا مستيكوس بعد سنة ٩١٢م ورد ارثاس على ما جاء في بعضها لتتضح لنا أبعاد هذا الانشقاق • ويلاحظ أن زواج الامبراطور ليو السادس لم يعد موضوع الجدل المباشر بين التيارات الكنسية المتنافسة ، كما كان عليه الحال قبل سنة ٩٠٧م ، بل أصبح الخلاف يدور حول مشروعية استرداد نيقولا عرش الكنيسة البيزنطية بعد أن تخلى عنه باستقالته من منصب البطريركية • ولقد حاول نيقولا في رسالته العامة التي وجهها الى أساقفة المعارضة تفسير ظروف تنحيه عن عرش البطريركية وتبرير استقالته مؤكدا أنه احتفظ بمركزه كأسقف ولم يتخل عنه • وحفلت هذه الرسالة بعبارات اللوم والتوبيخ لاولئك الاساقفة الذين بدلوا مواقفهم وانقلبوا الى أعداء وجلبوا الانقسام الى الكنيسة[12] • أما ارثاس فقد كتب ردا ساخرا حاول فيه تفنيد مزاعم نيقولا فبين أن استقالته من منصب البطريركية صحيحة ولا ينبغي التقليل من قيمتها كما لا يجوز التراجع عنها • وشبه تخلى نيقولا عن الكنيسة بتخلى الراعى عن قطيعه وتركه

للثالث[٧٣] • ورفض ارثاس وانصاره الاعتراف ببطريركيته الجديدة كما رفضوا الاشتراك معه فى أى قداس دينى[٧٤] • واذا كان الجدل قد تطرق الى مشروعية الزواج الرابع من حيث المبدأ ، فان موقف نيقولا مستيكوس المعارض كان متفقا مع المفهوم التقليدى للكنيسة البيزنطية، بينما افتقر ارثاس الى المصداقية وهو يحاول تفسير القوانين الكنسية بصورة تتفق مع التبدل الذى طرأ على موقفه من الزواج الرابع[٧٥] •

حواشي الفصـــل الخامس

١ — Grumel, **Règne de Léon VI**, p. 8; Grumel, **La Chronologie**, p. 357.

٢ — **Theoph. Cont.**, p. 377; **Sym. Mag.**, p. 715; **G. Mon. Cont.** p. 871; **Leo Gramm.**, p. 285; **Scylitzes**, p. 192.

وتتضمن مخطوطة سكليتزس المحفوظة في جامعة مدريد ١٠ أبيات شعرية تصور لحظات احتضار ليو السادس وكلماته الأخيرة لأخيه اسكندر ، انظر :

Sevcenko, **Poems**, p. 196.

٣ — **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 242; Grumel, **Les Regestes, no.** 635, p. 151.

ومن بين المؤرخين الحديثين المؤيدين لهذا الرأى كل من جنكنز ، وفازيليف ، انظر :

Jenkins, **Letter to the Emir**, p. 400; Vasiliev, **Byzantine Empire**, I, pp. 333-334.

٤ — Oikonomidès, **Dernière Volonté**, pp. 48, 50.

ويعتقد الأستاذ ايكونوميدس ان الوثيقة صحيحة ، وانها كتبت اثناء وجود نيقولا في المنفى ، ثم قام الامبراطور اسكندر بتنفيذها بعد جنازة ليو السادس ، عن صحة هذه الوثيقة ، انظر :

Oikonomidès, Préhistoire de la dernière Volonté, p. 270.

اما الأستاذة كارلين هيتر فانها تثير الشكوك في اصالة هذه الوثيقة ، وتعتقد انها كتبت سنة ٩٠٧م ثم ذاعت في سنة ٩١٢م ، انظر :

Karlin-Hayter, **Préhistoire**, pp. 483-486.

٥ — **Theoph. Cont.**, pp. 377-378; **Sym. Mag.**, pp. 715-716; **G. Mon. Cont.**, p. 871; **Leo Gramm.**, pp. 285-286; **Scylitzes**, p. 193; **Zonaras, III**, pp. 455-456.

ويؤيد هذا الرأي عـدد آخـر من المؤرخين المـحدثين من بينهـم رانسيمان ، وكارلين هيتر ، واستروجورسكي ، انظر :

Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 45-46; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 70, 98; Ostrogorsky, **State** p. 261, n. 2.

٦ ـ Jenkins, **Letter to the Emir,** p. 401; Jenkins, **Chronological Accuracy**, p. 111. Cf. Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 227; Hergenröther, **Photius**, III, pp. 667-668.

ويبدو أن هناك سابقة لذلك وقعت قبل خمس وثلاثين عاما - فعندما استدعى باسيل الأول فوتيوس من منفاه ، زاول الأخير صلاحيات البطـريرك الفعلية لبضعة أشهر قبل وفاة اجناتيوس البطـريرك الرسمي سنة ٨٧٧م ، انظر :

Dvornik, **Photian Schism**, pp. 167-168, 172.

٧ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 377-378; **Sym. Mag.**, p. 716; **G. Mon. Cont.**, p. 871; **Leo Gramm.**, p. 286.

وانظر الوصف التفصيلي للمحاكمة في :

Vita Euthymii, pp. 119-123.

وانظر أيضا :

Grumel, **Les Regestes**, no. 630, p. 148; Popov, **Imperator Leo VI**, p. 171; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 71; Karlin-Hayter, **Alexander's Bad Name**, p. 588.

ويقـع دير القديس اجاثوس St. Agathos في ضـواحي القسطنطينية على مضيق البسفور ، انظر :

Janin, **Constantinople**, p. 439.

٨ ـ **Vita Euthymii**, p. 129; Karlin-Hayter, **Vita S. Euthymii**, p. 762.

٩ ـ تشير سيرة أيثيميوس الى اضطهاد ونفي أربعـة أسـاقفة هم ديمتريوس Demetrios أسقف هرقلة Heraclea وجريجـوري Gregory أسقف نيقوميديا Nicomidia ، وجابريل Gabriel أسقف أنقرة Ancyra ، وهيلاريون Hilarion أسقف هيرا Hierapolis

أما بطرس أسقف ساردييس Sardis فقد هرب ، ولم يعثر عليه ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 115-117, 223-225.

كذلك يشير نيقولا مستيكوس في رسالته الى نيكتاس Nicetas أسقف اثينا (حوالى سنة ٩١٤م) الى عزل اربعة أساقفة فقط ، انظر :

Jenkins, **Tetragamy**, p. 237, n. 26. cf. Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 229.

١٠ — Popov, **Imperator Leo VI**, p. 160, n. 1.

١١ — **Vita Euthymii**, pp. 127, 227.

وربما يرجع فشل نيقولا في عزل ارثاس الى علاقة الاخير الوطيدة بالامبراطور اسكندر في ذلك الوقت ، انظر :

Kougeas, **Kaisareias Arethas**, p. 12.

١٢ — انظر النص الكامل لرسالة نيقولا مستيكوس الى أساقفة المعارضة — التى نشرت أول مرة سنة ١٩٠٩م مع ست رسائل أخرى لارثاس — في :

Papadopoulos-Kerameus, A., "Varia Graeca Sacra", **Zapiski**, 95 (1909). pp. 254-259.

كما قامت الأستاذة كارلين هيتر باعادة نشرها وافردت لها ترجمة انجليزية كملحق لسيرة ايثيميوس ، انظر :

Karlin-Hayter, **Vita S. Euthymii**, pp. 748-756.

وانظر كذلك نص الرسالة رقم (٤٩) التى بعثها نيقولا أيضا لأساقفة المعارضة في :

Nicholas I Patriarch of Constantinople, Ep. 49, pp. 276-278.

١٣ — انظر النص الكامل لرد ارثاس الذى نشرته الأستاذة كارلين هيتر أيضا كملحق لسيرة ايثيميوس ، في :

Karlin-Hayter, **Vita S. Euthymii**, pp. 756-770.

وتتكرر الاشارة الى تخلى نيقولا مستيكوس عن الكنيسة في كتابات

أرثاس الأخرى ، انظر :

Arethas, **Scripta Minora**, I, p. 86.

١٤ — **Vita Euthymii**, p. 127.

١٥ — Karlin-Hayter, **Arethas Documents III**, pp. 117-127;

Karlin Hayter, **Arethas Documents IV**, pp. 387-487;

Karlin Hayter, **Arethas Documents V**, pp. 49-67.

وانظر أيضا الفصل الرابع ، حاشية (٥٢) .

الفصل السادس

نيقولا مستيكوس والوصـــاية على قسطنطين السابع



عاشت الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة ليو السادس فترة اضطراب وفتن كانت فى جملتها نتائج ترتبت بشكل مباشر أو غير مباشر على زواجه الرابع . واذا كان اسكندر قد خلف أخاه على العرش ، الا أنه انصرف الى أهوائه وحرص على نقض سياسات سلفه وأضمر الشر لابن أخيه الطفل[1] . ولم ينقذ الطفل الصغير من الهلاك على يد عمه سوى وفاة الاخير فى ٦ من يونيو سنة ٩١٣م بعد حكم قصير مضطرب فى الداخل والخارج لم يدم أكثر من ثلاثة عشر شهرا ، تاركا قسطنطين السابع فى الثامنة من عمره وسط تيارات تتصارع من أجل الوصاية عليه واغتصاب العرش منه[2] . ولم يقتصر الامر على ذلك اذ قلبت بلغاريا باستغلال الموقف لتحقيق طموح قيصرها سيميون Symeon فهددت بيزنطة تهديدا خطيرا . وفى هذا الجو الصاخب الملىء بالفتن فى الداخل والاخطار من الخارج لعب نيقولا مستيكوس دورا بارزا .

قام الامبراطور اسكندر وهو على فراش الموت بتشكيل مجلس وصاية على الامبراطور القاصر قسطنطين السابع يتولى ادارة شئون الدولة . وتشكل المجلس من خليط غير متجانس اذ ضم البطريرك نيقولا مستيكوس ، واثنين من الاعيان من أبناء الطبقة العليا ، وأربعة من حاشية أتباع الامبراطور المحتضر — التى غلب عليها اللهو والمجون — كانوا من أصول اجتماعية متواضعة ولم يسبق لهم شغل أية مناصب حكومية[3] . وبفضل مركز نيقولا مستيكوس وشخصيته نجح فى السيطرة على مجلس الوصاية ، بل أصبح الوصى الحقيقى على قسطنطين السابع الذى فجر مولده الشقاق فى الكنيسة البيزنطية[4] . ويبدو أن نيقولا مستيكوس قبل تشكيل مجلس الوصاية ، قد خشى أن يقوم أحد الطامعين فى التاج باغتصاب العرش من الامبراطور القاصر،

فبدأ بمراسلة قسطنطين دوقاس – ابن القائد المعروف اندرونيكوس دوقاس – وكان يشغل منصب القائد العام للجيش البيزنطى فى آسيا الصغرى ، ودعاه لدخول العاصمة واعتلاء العرش[٥] . وكان نيقولا يميل لاسرة دوقاس ، وربما فضل أن يرى قسطنطين دوقاس امبراطورا مشاركا للامبراطور القاصر أكثر من أى شخص آخر[٦] ، لما فى ذلك من ضمان لاستمراره فى شغل منصب بطريرك القسطنطينية وتأمين لمركزه فى مواجهة معارضيه فى الكنيسة من أنصار البطريرك السابق ، فضلا عن أعدائه فى القصر وعلى رأسهم الامبراطورة الام زوى كاربونوبسينا . ولكن تشكيل مجلس الوصاية برئاسته جعله يندم بعد ذلك على دعوته القائد دوقاس ، فما كان ليرضى وهو على رأس الدولة بوجود منازع له فى السلطة . على أية حال ، استجاب قسطنطين دوقاس للدعوة بعد تردد قصير ، وتقدم بجزء من جيشه ونجح فى دخول العاصمة فى اليوم الثالث لمراسم الحداد على وفاة الامبراطور اسكندر ليجد الوضع قد اختلف تماما[٧] . ولم يكن فى امكان القائد الكبير أن يتراجع فتوجه بجنوده الى ساحة الهيبودروم Hippodrome حيث تطور الامر الى قيام أنصاره وجنوده باعلانه امبراطورا . وعلى الفور أصدر مجلس الوصاية الاوامر للحرس الامبراطورى بالتصدى للقائد الثائر فأجهضت المحاولة وقتل قسطنطين دوقاس وابنه أمام البوابة البرونزية للقصر الامبراطورى كما قتل عدد كبير من رجاله[٨] . وهكذا فشلت ثانى محاولات أسرة دوقاس لاغتصاب العرش من الاسرة المقدونية ، وفى كلتا المحاولتين تورط نيقولا مستيكوس بشكل أو بآخر .

كانت المشكلة التالية التى واجهت نيقولا مستيكوس بعد أن قبض على زمام الحكومة البيزنطية هى الامبراطورة الأم زوى كاربونوبسينا وكانت زوى قد عادت الى القصر لزيارة الامبراطور المحتضر اسكندر ، وبعد وفاته أقامت بجوار ابنها القاصر وحاولت استرداد نفوذها

والتدخل في شئون الحكم ، فقام البطريرك بإبعادها عن القصر ثم نفاها الى أحد الاديرة[9] .

لكن الخطر الجسيم الذى هدد أمن الدولة البيزنطية في هذه المرحلة جاء من جانب دولة بلغاريا التى كانت ترقب عن كثب اضطراب الاحوال في بيزنطة . وعندما رفض الامبراطور الراحـــل اسكندر دفع الجزية المقررة للبلغار طبقا للاتفاقية المبرمة سنة ٨٩٧م ، التى انهت جـــولة سابقة من المواجهة الحربية بين الدولتين ، أعلن القيصر سيميون الحرب من جديد وتقدم تجاه القسطنطينية والقى عليها الحصار في أغسطس سنة ٩١٣م[10] . ولم يعبأ سيميون بحتجاجات وتوسلات البطريرك نيقولا مستيكوس ، فقد كانت تحدوه أحـــلام الاستيلاء على العاصمة البيزنطية كي يصبح امبراطور البلغار والرومان[11] . وأمام هذا التهديد الخطير وعجز الحكومة البيزنطية عن مواجهته عسكريا ، اضطر مجلس الوصاية برئاسة نيقولا الى الاذعان والدخـــول مع العاهل البلغاري في مفاوضات . وقضت التسوية التى تم التوصل اليها الموافقة على تتويج سيميون امبراطورا ، بمعنى تتويجـــه امبراطورا على بلغاريا وليس امبراطورا مشاركا لقسطنطين السابع[12] . كما تم الاتفاق على أن تصبح احدى بنات القيصر البلغاري زوجة للامبراطور القاصر قسطنطين السابع في المستقبل[13] . ولقد أرضت هذه التسوية طموح القيصر سيميون مؤقتا ، فرفع الحصار عن القسطنطينية وانسحب عائدا الى بلغاريا في سبتمبر سنة ٩١٣م[14] .

لم ينعم البطريرك نيقولا مستيكوس بالحكم طويلا ، فبعد ثمانية أشهر من توليه رئاسة مجلس الوصاية وادارة شئون الدولة ، تم عزله من الوصـــاية على قسطنطين الســـابع على اثر انقـــلاب في القصر الامبراطوري في فبراير سنة ٩١٤م[15] . ويبدو أن حكومة نيقولا كانت قد بدأت تفقد شعبيتها ، ربما بسبب الافراط في التنازلات التى قدمتها

لقيصر بلغاريا ، فضلا عن القسوة التى صاحبت أخماد ثورة قسطنطين دوقاس • كذلك اثار تفرد نيقولا بالسلطة كراهية بعض الاعضاء البارزين فى مجلس الوصاية وخاصة يوحنا الادس Ioannes Elades [١٦] • وكانت الامبراطورة الأم زوى هى المثل المدبر وراء انقلاب القصر الذى أطاح بحكمه • فقد عادت زوى الى القصر بناء على طلب ابنها فى اكتوبر — نوفمبر سنة ٩١٣م ونجحت فى اكتساب ولاء يوحنا الادس • وتم تدبير المؤامرة التى قضت على أعـــوان البطريرك ، الذى أضطر للهرب من القصر ولجأ الى مذبح كنيسة الحكمة المقدسة حيث اعتصم هناك مدة اثنين وعشرين يوما[١٧] • أما زوى فقد دعمت مركزها فى القصر وأمسكت بزمام الحكم وأصبحت الوصية الجديدة على ابنها قسطنطين السابع •

وكانت زوى تعتزم عـــزل البطريرك نيقولا مستيكوس ودعـــوة ايثيميوس ليحل محله على رأس الكنيسة البيزنطية ، الا أن البطريرك السابق رفض العرض تماما مفضلا حياة السلام والهدوء فى الدير على حمل أعباء الدنيا مرة أخرى • والطريف أن ايثيميوس نصح الامبراطورة زوى بالاحجام عن مقاطعة نيقولا أو التفكير فى عزله[١٨] • وبالفعل قررت العفو عن نيقولا مستيكوس وفى مقابل ذلك طالبته بتقديم تعهد كتابى باعلانها امبراطورة رسميا فى الكنيسة وبعـــدم دخول القصر الامبراطورى الا بناء على دعوة مسبقة • وفى مقـــابل اذعانه لمطالبها منحته الامان فخرج من ملجئه ليرعى شئون الكنيسة فقط دون تدخل فى شئون الحكم[١٩] • ولا تشير المصادر الى ما اذا كان نيقولا مستيكوس قد أوفى بما تعهد به وقام باضفاء الشرعية على مركـــز زوى باعلانها امبراطورة رسميا فى الكنيسة • على أية حال ، بمرور الوقت أخذت العلاقات تتحسن بين القصر والبطريرك ، اذ كلفته الامبراطورة زوى بكتابة عدة رسائل ديلوماسية باسم حكومتها لسيميون قيصر بلغاريا[٢٠] • كما تتأكد هذه الحقيقة فى روح المودة والتعاطف والحنو الابوى التى تظهر فى رسالة العزاء التى أرسلها نيقولا للبراكويمومنوس قسطنطين

الرجل الاول فى حكومة الامبراطورة زوى ، والتى كتبها غالبا سنة ٩١٦م بمناسبة وفاة شقيقه[٣١] •

وجدير بالذكر أن رفض ايثيميوس دعوة زوى له بالعودة الى عرش البطريركية أدى الى تبدل ايجابى فى مشاعر نيقولا مستيكوس تجاهه• وتروى المصادر أن نيقولا ذهب الى دير القديس اجاثوس Agathos لاسترضاء ايثيميوس ، وانه اعتذر له عما وقع بينهما من أحداث،وبعد عتاب تصافى الرجلان • وفى أعقاب هذا اللقاء الاول توطدت الصداقة بينهما تدريجيا وأخذ نيقولا يقوم بزيارة البطريرك السابق بشكل منتظم• وكثيرا ما كان حديثهما يتطرق الى أحداث الماضى القريب فيثور الجدل بينهما ولكنه سرعان ماينتهى بصورة ودية[٣٢] • وفى ٢٨ من يوليو سنة ٩١٧م ارسل ايثيميوس وهو على فراش مرضه الاخير فى استدعاء نيقولا مستيكوس لوداعه • وكان اللقاء مؤثرا أخذ فيه كل منهما يطلب الصفح من الآخر قبل أن يتبادلا قبلة الوداع الاخير[٣٣] • وفى ٢٠ من أغسطس سنة ٩١٧م توفى ايثيميوس عن عمر ناهز الخامسة والثمانين قضى منها خمسا وسبعين عاما راهبا[٣٤] •



حواشي الفصـــل السادس

١ ـ تروي المصادر ان الامبراطور اسكندر فكر جديا في تحويل ابن اخيه الى خصي لحرمانه من وراثة العرش ، واختيار احد اتباعه ـ المدعو بازيليتزس Basilitzes السلاقي ـ ليكون خلفا له على العرش ، انظر :

Arethas, **Scripta Minora**, I, p. 90; **Theoph. Cont.**, p. 379; **Scylitzes**, p. 194; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 45-46.

وانظر أيضا : وسام عبد العزيز : «الاتبـاع والسـادة ـ دراسة في ظاهرة التبعية الشخصية في العصر البيزنطي الاوسط» ، **مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخيـة** ، العـدد ٣٢ (١٩٨٥) ، ص ١١٩ .

٢ ـ انظـر الدراسة القيمة التي قامت بها الاستاذ كارلين هيتر لعهـد الامبراطور اسكندر ، في :

Karlin-Hayter, **Alexander's Bad Name**, pp. 585-596.

٣ ـ ضم مجلس الوصاية ، بالاضافة الى البطـريرك نيقولا مستيكوس يوحنـا الادس Ioannes Elades وستفن Stephen (وكانا من كبـار موظفي الحـكومة) ، ويوحنـا لازارس Ioannes Lazares وايثيميوس Euthymios (وهو رجل اخر يختلف عن البطـريرك السـابق) ، وبازيليـتزس Basilitzes (السلاقي) ، وجابريلوبولوس Gabrielopoulos ، انظر :

Theoph. Cont., pp. 379-380; **G. Mon. Cont.**, p. 873; **Sym. Mag.** p. 717; **Scylitzes**, p. 196; **Zonaras**, III, pp. 457-458.

ويلاحظ ان سيرة ايثيميوس لا تذكر بازيليتزس وجابريلوبولوس ضمن أعضاء مجلس الوصاية ، انظر النص والتعليق في :

Vita Euthymii, pp. 131, 228-230.

٤ ـ **Scylitzes**, p. 197. Cf.**Theoph. Cont.**, p. 381; **Sym. Mag.**, p. 718; **G. Mon. Cont.**, p. 874; **Leo Gramm.**, p. 288; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 48.

Vita Euthymii, p. 131; **Theoph. Cont.**, p. 381; **Scylitzes**, p. 197; – ٥
Vita Basilii Junioris, Col. 656D; Grumel, **Les Regestes**, nos. 640, pp. 153-154; 644. pp. 155-156.

ويلاحظ أن بعض المصادر الأخرى لا تشير الى نيقولا مستيكوس تحديدا ، بل تذكر أن بعض كبار الشخصيات فى العاصمة قاموا بدعوة قسطنطين دوقاس الى دخول القسطنطينية ، انظر :

G. Mon. Cont., pp. 874-875; **Sym. Mag.**, p. 718; **Leo Gramm.**, pp. 288-289. Cf. Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 49-50.

٦ – Polemis, **The Doukai**, p. 23.

٧ – **Vita Euthymii**, p. 131; **Vita Basilii Junioris**, Col. 657 C-D.

٨ – للمزيد عن محاولة قسطنطين دوقاس اغتصاب العرش ، انظر :

Theoph. Cont., pp. 382-385; **Sym. Mag.**, pp. 719-721; **G. Mon. Cont.**, pp. 875-877; **Vita Euthymii**, pp. 131-133; **Vita Basilii Junioris**, Col. 661B; **Scylitzes**, pp. 197-199; Polemis, **The Doukai**, p. 24; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, pp. 65-69.

وانظر أيضا :

محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيكوس** ، ص ١٦ .

٩ – **Vita Euthymii**, pp. 131-133.

١٠ – **Theoph. Cont.**, pp. 380-385; **Sym. Mag.**, pp. 717, 721; **G. Mon. Cont.**, pp. 873, 877.

١١ – أرسل البطريرك نيقولا مستيكوس الى سيميون البلغارى ثلاث رسائل فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ٩١٣م ، احتج فيها على غزوه الأقاليم الامبراطورية وتقدمه تجاه القسطنطينية ، وتوسل اليه أن يعود الى بلاده ، انظر نصوص رسائله أرقام ٥ ، ٦ ، ٧ فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. (5, 6, 7), pp. 26-44; Grumel, **Les Regestes**, nos. 641-643, 645, pp. 154-156.

وللمزيد عن أطماع القيصر سيميون ، انظر :

Dölger, Byzanz, pp. 140-142; Ostrogorsky, **State**, p. 262.

١٢ ـ **Theoph. Cont.**, p. 385; **G. Mon. Cont.**, pp. 877-878; **Scylitzes**, p. 200; Ostrogorsky, **State**, p. 263, n. 1.

والمزيد عن تتويج سيميون امبراطور ، انظر :

Chrysos, **Die Krönung Symeons**, pp. 169-193; Loud, **Coronation of Symeon**, pp. 109-120.

١٣ ـ انظر الاشارة الى مشروع الزواج في رسالة نيقولا مستيكوس الى القيصر سيميون بعد ذلك في أواخر ديسمبر سنة ٩٢٠م :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 16, p. 109.

وانظر أيضا :

Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 51; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 231.

١٤ ـ **Theoph. Cont.**, p. 385; **G. Mon. Cont.**, p. 878; **Scylitzes** p. 200.

١٥ ـ **Theoph. Cont.**, p. 386; **Sym. Mag.**, p. 722; **G. Mon. Cont.**, p. 879; **Scylitzes**, p. 201; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 232; Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 201.

١٦ ـ Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 52;

Ostrogorsky, **State**, p. 263.

وعن الانقسام والاختلاف في مجلس الوصاية انظر :

Zonaras, III, p. 461.

١٧ ـ **Vita Euthymii**, p. 133; **Theoph. Cont.**, p. 386; **Sym. Mag.**, p. 722; **G. Mon. Cont.**, p. 878; **Scylitzes**, p. 201.

١٨ ـ **Vita Euthymii**, p. 135.

١٩ ـ **Vita Euthymii**, p. 137; Grumel, **Les Regestes**, no. 650, p. 158; Guilland, **Les Noces**, p. 20.

٢٠ ـ انظر نصوص الرسائل أرقام : ٨ (صيف سنة ٩١٤م) ، ٩ (نهاية أغسطس ـ بداية سبتمبر سنة ٩١٧م) ، ١٠ (بداية سنة ٩١٨م) في :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 8, 9, 10, pp. 44-72.

وانظر أيضا :

Grumel, Les Regestes, nos. 655, 660, 661, pp. 160-161, 164-165;

Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 53.

٢١ ـ انظر نص الرسالة رقم (٤٧) في :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 47, pp. 266-274.

وكان قسطنطين يشغل منصب براكويمومنوس **Parakoimomenos** أى الحاجب الأول المسئول عن غرفة نوم الامبراطور ليو السادس في الفترة من سنة ٩٠٨م الى سنة ٩١٢م ، وعقب اعتلاء الامبراطور اسكندر للعرش قام بعزله . وعندما تولت زوى الوصاية أصبح قسطنطين اهم موظف في الحكومة البيزنطية في الفترة من سنة ٩١٤م الى سنة ٩١٩م . لقد كان خصيا من أنصار ايثيميوس ومقربا من زوى ، وكان القائد المعروف ليو فوقاس متزوجا من شقيقته التى توفيت غالبا سنة ٩١٦م . للمزيد عن قسطنطين هذا ، انظر :

Jenkins, **Consolatio**, pp. 162-165; Karlin-Hayter **Parakoimomène Constantin**, p. 252.

٢٢ ـ **Vita Euthymii**, pp. 137-141.

٢٣ ـ **Vita Euthymii**, pp. 141-143.

٢٤ ـ انظر المقدمة التى اعدتها الاستاذة كارلين هيتر لسيرة ايثيميوس ، في :

Vita Euthymii, pp. 10, 31, n. 2, and pp. 145-147.

وبعد وفاته بسنوات أدرجت الكنيسة البيزنطية اسم ايثيميوس في قائمة القديسين ، انظر :

Halkin, Bibliotheca, I, pp. 204-205.

الفصل السابع

عزل زوى ووصاية رومانوس ليكابينوس



استمر اضطراب أحوال الامبراطورية البيزنطية خلال فترة وصاية زوى على قسطنطين السابع فى مواجهة السياسة العدوانية التى اتبعتها دولة بلغاريا • وكانت زوى قد بدأت بنقض التسوية التى توصل لها نيقولا مستيكوس مع القيصر البلغارى ، فأنكرت تتويج سيميون كما رفضت مشروع زواج ابنها من احدى بناته ، فترتب على ذلك اندلاع الحرب من جديد • قام سيميون بغزو اقليم تراقيا واستولى على أدرنه Adrianople فى سبتمبر سنة ٩١٤م • وفى العامين التاليين استمر هجوم البلغار على معظم ولايات الجزء الاوروبى من الامبراطورية البيزنطية[١]• وادركت الحكومة البيزنطية بقيادة زوى ضرورة القيام بهجوم عسكرى مضاد ، فتم وضع خطة هجوم مزدوج على بلغاريا من الشمال ومن الجنوب بالتحالف مع عناصر البجناكية (البشناق) Patzinaks القاطنة شمالى نهر الدانوب • وتتلخص الخطة فى قيام قائد الاسطول البيزنطى الادميرال رومانوس ليكابينوس Romanos Lecapenos بنقل قائد ثيم خرسون Cherson يوحنا بوجاس Joannes Bogas وجنوده بحرا الى مصب نهر الدانوب ليتقدم الاخير بعد ذلك جنوبا تجاه بلغاريا بالتنسيق مع البجناكية ، بينما يتقدم القائد العام ليو فوقاس Leo Phocas بالجيش الرئيسى برا عبر اقليم تراقيا على طول ساحل البحر الاسود شمالا الى بلغاريا • وكانت الخطة تعتمد أساسا على التنسيق الدقيق والتعاون ليتحقق النجاح للهجوم المزدوج • ولكن الخلاف الذى نشب بين قائد ثيم خرسون من ناحية وقائد الاسطول البيزنطى من ناحية أخرى أفشل الهجوم من الشمال واضطرت عناصر البجناكية (البشناق) الى العودة الى بلادها • وفى ظل هذه الظروف انتهت المعركة الحاسمة التى دارت عند اخيلوس Acheloos بالقرب من مدينة انخيالوس Anchialus فى ٢٠ من أغسطس سنة ٩١٧م بهزيمة الجيش البيزنطى بقيادة ليو فوقاس

واعقبت ذلك هزيمة أخرى لفلول الجيش البيزنطي عند كانا سيرتاى Catasyrtae القـريبة من العاصمة[٢] • وفى سنة ٩١٨م تابع القيصر سيميون انتصاراته بغزو اليونان والتوغل جنوبا حتى مضيق كورنثا ليصبح سيدا على شبه جزيرة البلقان[٣] •

وقعت الحكومة البيزنطية فى مأزق كبير وفقدت زوى ما تبقى لها من شعبية وسرعان ما فقدت نفوذها • وفى هذه الظروف الصعبة اضطر قسطنطين السابع ، وكان قد بلغ الثالثة عشرة من عمـره ، الى تولى الحكم بنفسه وأرسل فى استدعاء نيقولا مستيكوس لمعاونته[٤] • وفى الوقت الذى أخذ فيه البطريرك يعود الى ساحة السياسة مرة أخرى، تطلع اثنان من القادة العسكريين هما القائد ليو فوقاس والادميرال رومانوس ليكابينوس الى اغتصاب السلطة ، وسط شعور عـام بأن الموقف يحتاج الى رجل قوى • وكانت زوى وكبير موظفيها قسطنطين يناصران ليو فوقاس بينما كان ثيودور Theodore مؤدب الامبراطور القاصر يؤيد ليكابينوس[٥] • وفى هذا السباق على السلطة كان الفوز من نصيب رومانوس ليكابينوس ، الذى تمكن بمساعدة أعوانه من اقصاء مناوئيه فى القصر • ورغم اعتراض نيقولا مستيكوس دخل ليكابينوس بمعض سفن الاسطول الى الميناء الخاص بالقصر الامبراطورى وفرض حمايته على الامبراطور قسطنطين السابع فى ٢٥ من مارس سنة ٩١٩م• وأدى تطور الاحداث على هذا النحو الى خروج البطريرك من دائرة السلطة والحكومة ، ولكنه سرعان ما اعترف بالأمر الواقع بعد أن توصل الى تفاهم مع الوصى الجديد[٦] •

بسط رومانوس ليكابينوس نفـوذه على الامبراطورية بخطوات تدريجيـة • ففى ابريل سنة ٩١٩م رتب خطوبة قسطنطين السابع من ابنته هلن Helena • وأعقب ذلك بنفى زوى الى أحد الاديرة للمرة الاخيرة حيث توفيت هناك فى ظروف غامضة • ونجح فى احباط تمرد

للجيش بقيادة ليو فوقاس الذى تم القبض عليه وسمل عينيه • وفى ٤ من مايو سنة ٩١٩م تمت مراسم زواج قسطنطين السابع ، وكان قد قارب الرابعة عشرة من عمره ، من هيلين على يد البطريرك نيقولا مستيكوس[٧] موعقب تتويج ابنته امبراطورة،اتخذ ليكابينوس لنفسه لقب والد الامبراطور Basileopator الذى سبق للامبراطور ليو السادس أن أنعم به على ستيليانوس زاوتزس والد زوجته الثانية • وفى ٢٤ من سبتمبر سنة ٩٢٠م أنعم الامبراطور قسطنطين السابع عليه بلقب قيصر Caesar ، وفى ١٧ من ديسمبر من نفس العام تم تتويج ليكابينوس امبراطورا مشاركا على يد البطريرك[٨] • ومع أن البطريرك نيقولا مستيكوس أيد اجراءات ليكابينوس التى استهدفت احكام قبضته على السلطة الامبراطورية ، الا أنه حرص فى نفس الوقت على الدفاع عن حقوق الامبراطور قسطنطين السابع •

هذا ، وقد تعاون نيقولا مستيكوس مع رومانوس ليكابينوس فى علاج مشكلة الخطر البلغارى،ولعب البطريرك فى الواقع دور الوسيط[٩]، وبعد محاولات مضنية أثمرت جهود البطريرك الدبلوماسية،وتم التوصل الى هدنة بين الدولتين فى سنة ٩٢٤م • ولكن السلام الحقيقى لم يتحقق الا فى سنة ٩٢٧م عقب وفاة القيصر سيميون واعتلاء ابنه بطرس عرش الدولة البلغارية[١٠] •



حواشي الفصـــل السابع

١ ـ Ostrogorsky, **State**, p. 263; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 53.

وتجدر الاشارة الى ان رسائل نيقولا مستيكوس الى القيصر سيميون تعكس طبيعة وابعاد الغزو البلغاري لاقاليم البلقـان والدمار الذى نتج عن ذلك ٠ انظر نصوص الرسائل ارقام (٨) ، (٩) ، (١٠) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 8, 9, 10, pp. 44-72.

٢ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 388-390; **Sym. Mag.**, pp. 724-725; **G. Mon. Cont.**, pp. 881-883; **Scylitzes**, pp. 203-205; **Leo Gramm.**, pp. 295-296; **Zonaras**, III, pp. 464-465; Jenkins, **Imperial Centuries**, pp. 234-235; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 55-56.

٣ ـ Ostrogorsky, **State**, p. 264.

٤ ـ **Theoph. Cont.**, p. 392; **G. Mon. Cont.**, p. 884; **Leo Gramm.**, p. 298; **Zonaras**, III, p. 467; Guilland, **Les Noces**, p. 21.

٥ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 391-392; **Sym. Mag.**, pp. 725-726; **G. Mon. Cont.**, p. 883; **Scylitzes**, pp. 205-206; **Leo Gramm.**, pp. 297-298; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 57-58.

٦ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 393-394; **G. Mon. Cont.**, pp. 885-886; **Scylitzes**, pp. 208-209; **Zonaras**, III, pp. 467-468; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 58-60; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 236.

٧ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 394, 395-397; **Sym. Mag.**, pp. 727-731; **G. Mon. Cont.**, pp. 887-889; **Leo Gramm.**, pp. 301-303; **Scylitzes**, pp. 209-212; **Zonaras**, III, pp. 468-469; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 60-61.

بالنسبة للتحديد الدقيق ليوم انعقاد زواج قسطنطين السابع ، انظر :

Jenkins, Chronological Accuracy, p. 108.

والمعروف ان السن القانونى لزواج الرجل فى القانون البيزنطى يبدأ من الرابعة عشرة ، انظر :

Zhishman, Das Eherecht, I, pp. 370-371.

٨ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 397-398; **Sym. Mag.**, p. 731; **G. Mon. Cont.**, p. 890; **Leo Gramm.**, p. 304; **Scylitzes**, p. 212.

وكان الاعتقاد السائد ان تتويج ليكابينوس ، امبراطورا مشاركا جرى فى ديسمبر سنة ٩١٩م ، ولكن الاستاذ جروميل اثبت انه وقع فى سنة ٩٢٠م ، انظر :

Grumel, **Notes**, pp. 333-335; Grumel, **La Chronologie**, p. 358; Jenkins, **Imperial Centuries**, pp. 236-237.

٩ ـ بلغ اجمالى عدد رسائل البطريرك نيقولا مستيكوس للقيصر سيميون البلغارى ٢٥ رسالة ، منها ١٨ رسالة فى عهد رومانوس ليكابينوس فى الفترة من سنة ٩٢٠م وحتى سنة ٩٢٥م . انظر نصوص الرسائل ارقام من (١٤) الى (٣١) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 14-31, pp. 92-214.

١٠ ـ Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 90-101.



الفصل الثامن

عودة الوحدة الى الكنيسة البيزنطية



عندما قبض رومانوس ليكابينوس على زمام الحكومة البيزنطية سنة ٩١٩م ، ساد اعتقاد عـام بأن الهـزائم العسكرية التى منيت بها الامبراطورية البيزنطية أمام البلغار ، كانت بسبب الانقسام داخـل الكنيسـة ، وبالتحديد لعدم قبول أولئك الذين وافقوا على الزواج الرابع فى رعية الكنيسة[1] . ولقد سعى رومانوس ليكابينوس الى اعادة الوئام الى الكنيسة باقتراح عقد مصالحة بين التيارين المتنازعين من رجال الدين لا يخرج فيها منتصر أو مهزوم . ولم تكن المصالحة المقترحة تتطلب من أنصار ايثيميوس التراجع عن وجهة نظرهم ، الا أن نيقولا مستيكوس عارض تنفيـذ مصالحة على هذا النحو . ففى رسالته الى رومانوس ليكابينوس قبل تتويجه امبراطورا مشاركا ، رحب نيقولا بعقد مصالحة بين رجال الدين ، ولكنه ارادها مصالحة تضفى الشرف والاحترام على الكنيسة فى الحاضر والمستقبل . وأوضح نيقولا انه يرغب فى الرحيل عن الدنيا طاهرا حتى لا يوصم بشبهة ازدراء قوانين الكنيسة المقدسة بعد وفاته فيتعرض اسمه للعنة . ويظهر بوضوح فى هذه الرسالة ايمان نيقولا العميق بأن قوانين الكنيسة فى أمور الزواج ملزمة ولا يجـوز انتهاكها[2] .

ورغم قيام نيقولا مستيكوس بعد عودته لعرش البطريركية بحركة تطهير فى الكنيسة البيزنطية راح ضحيتها عدد من أنصار ايثيميوس ، فانه سرعان ما تحلى بالصبر وضبط النفس وحاول اتباع سياسة معتدلة مع أعدائه فى سعيه لاحتواء الانفعالات وتهدئة الخواطر فى الكنائس المحلية . ففى رسالته الى نيكتاس Nicetas أسقف اثينا فى سنة ٩١٤م ، الذى كان من أنصاره المتشددين ، وجه نيقولا اليه اللوم لقيامه بعزل أحد رجال الكنيسة من أنصار البطريرك السابق وطلب منه اعادته الى منصبه حتى يتم الفصل النهائى فى أمر أنصار ايثيميوس اما بادانتهم أو التسامح معهم[3] .

واذا كان نيقــولا قد أقلع عن سياسة اضطهاد أعدائه فى سعيه لاحتواء الانشقــاق فى الكنيسة البيزنطية ، فانه ما كان يسمح بقبول تسوية على حساب القوانين الكنسية، واذا كان قد اتبع سياسة مغايرة لبعض الوقت خــلال بطريركيته الاولى ، فانه لم يقصد الغــاء تلك القوانين أو تأويلها . وعلى هذا فهو يطالب ارثاس وغيره من أنصـــار البطريرك السابق بالتخلى عن تأويلاتهم للقوانين الكنسية لصالح المفهوم التقليدى للزواج المتعارف عليه فى بيزنطة .

على أية حال ، تعاون نيقولا مستيكوس مع رومانوس ليكابينوس فى الدعوة لعقد مجمع دينى لتسوية مسألة تكرار مرات الزواج بشكل نهائى[٤] . وحضر هذا المجمع الكنسى العام أساقفة وقساوسة يمثلون التيارين المتنازعين فى الكنيسة البيزنطية[٥] . ولا تمدنا المصادر بتفاصيل وقائع جلسات هذا المجمع الذى انعقد فى القسطنطينية فى النصف الثانى من شهر يونيو سنة ٩٢٠م ، وتكتفى بالاشارة الى أنه أسفر عن عقد مصالحة بين نيقولا مستيكوس وأنصاره من ناحية وأنصار البطريرك الراحل ايثيميوس من ناحية أخرى[٦] . وتم الاعلان الرسمى عن عودة الوحدة الى الكنيسة البيزنطية فى يوم الاحد الموافق ٩ من يوليو سنة ٩٢٠م فى وثيقة باسم قسطنطين السابع ورومانوس ليكابينوس تعرف باسم كتاب الاتحاد (Tomos Enoseos) Tomus Unionis [٧] . وتتضمن هذه الوثيقة عدة قرارات هامة من بينها أن المجمع قرر بالاجماع التحريم النهائى لكل زواج رابع من الآن (ابتداء من سنة ٩٢٠م) فصاعدا ، دون ادانة الحــالات السابقة على هـــذا التاريخ . ونصت الوثيقــة على أن كل من يعقد زواجا من هذا النوع سيوقع عليه الحرمان من دخول الكنيسة والاشتراك فى أى قداس دينى طالما استمر فى ارتباطــه المحرم[٨] . وأكدت الوثيقة على أن هذا القرار يمثل رأى آباء الكنيسة الذين شجبوا مثل هذه العلاقة باعتبارها دخيلة على المسيحية[٩] . ويلاحظ أن هذا التحريم الصارم للزيجات الرابعة لم يأت بجديد بل كان أمرا متعارفا

عليه في المفهوم التقليدي للكنيسة البيزنطية ، ولكن النص عليه بوضوح لا لبس فيه ولا ابهام كان أمرا ضروريا لسد الثغرات والحيلولة دون تأويل أقوال آباء الكنيسة في المستقبل . وأصبح هذا التحريم تشريعا متبعا في الكنيسة الارثوذكسية الى يومنا هذا[١٠] .

ويظهر الموقف المتزمت لهذا المجمع في قراراته الاخرى المتعلقة أيضا بمسألة تكرار مرات الزواج . فقد أعلن المجمع رفض الاباحة المطلقة للزواج الثالث ، الذي ربما كان قد أصبح شائعا ، وقرر وضع قيود على شرعية انعقاده . فاذا عقد رجـل بلا ذرية زواجا ثالثا وكان قد بلغ الاربعين من عمره ، فانه يحرم من دخول الكنيسة مدة خمس سنوات . وبعد انقضاء فترة عقوبة الحرمان يقتصر السماح له بحضور القداس الديني في الكنيسة على مرة واحدة في العام للمشاركة في قداس عيـد الفصح فقط . أما اذا كان لديه أطفال من زيجات سابقة فان زواجـه للمرة الثالثة لا يغتفر[١١] . ولكن اذا كان الرجل قد بلغ الثلاثين من عمره فقط ولديه أطفال من زيجاته السابقة ثم أقدم على الزواج للمرة الثالثة ، فقد حدد المجمع فترة حرمانه بأربع سنوات . وبعد انقضاء فترة الحرمان يقتصر السماح له بحضور القـداس الديني على ثلاث مرات في السنة . أما اذا لم يكن لديه أطفال من زيجات سابقة فيمكن التسامح في أمر زواجـه للمرة الثالثة بعد قضـائه فترة الحرمان المقررة[١٢] . ويلاحظ أن هذه القيـود المفروضة على الزواج الثالث استمرت مطبقة لبعض الوقت ، ثم تغاضت عنها الكنيسة الارثوذكسية بعد ذلك كما هو الحال اليوم[١٣] . هذا وقد أجاز المجمع الزواج للمرة الثانية دون قيود واعتبره شرعيا مباركا مثل الزواج الاول[١٤] .

هكذا وبعد خمس عشرة سنة من الجدل والخلاف والانقسام بين رجال الدين وما نجم عن ذلك من اضطراب أحوال الامبراطورية،عادت الوحـدة الى الكنيسة البيزنطية وتصافح نيقـولا مستيكوس وقطب المعارضة العنيد أرثاس وعادة المودة والصـداقة بينهما[١٥] . وشعر

سكان الامبراطورية البيزنطية بالفرحة فور اعلان وثيقة كتاب الاتحاد ، وأصبح يوم اعلانها عيدا لمجد الكنيسة الارثوذكسية يجرى الاحتفال به سنويا • ففى يوم الاحد الاول من الصوم الكبير من كل عـــام تتم قراءة كتاب الاتحاد من فـــوق منبر الوعظ فى كنيسة القديسة ايرين St. Irene فى القسطنطينية ، بحضور الاباطرة ، فى طقس خاص احتفالا بعودة السلام الى الكنيسة[16] • وأصبح على قسطنطين السابع فى كل عام احتمال مشقة الاستماع الى نصوص هذا الكتاب وما تنطوى عليه بداهة من كونه ابنا غير شرعى • ورغم ما قد يبدو فى ذلك من اذلال له فيجب ألا ننسى أن عدم تطبيق التحريم الوارد فى الوثيقة بأثر رجعى فضلا عن تجنب الاشارة الى الزواج الرابع لابيه تحديدا قد حفظ لأمه احترامها ولشخصه الشرعية[17] •

حواشي الفصـــل الثامن

١ ـ حاول نيقـــولا مستيكوس في رســـالته رقم (٧٥) الى رومانوس ليكابينوس تفنيد هذا الاعتقاد ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 75, p. 326.

٢ ـ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 75, pp. 324-328; Grumel, **Les Regestes**, no. 665, pp. 166-167.

٣ ـ انظر نص رسالة نيقولا مستيكوس رقم (١١٣) الى نيكتاس أسقف اثينا في :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 113, pp. 398-400

وانظر أيضا ملاحظات الأستاذين جرومل وجنكنز في :

Grumel, **Les Regestes**, no. 706, pp. 189-190; Jenkins, **Tetragamy**, pp. 237-238.

٤ ـ يظهر بوضوح في رسالة نيقولا مستيكوس رقم (١٠٠) الى اسكندر أسقف نيقية (في مطلع سنة ٩٢٠م) ان الدعوة لحضور المجمع الكنسي العام صادرة من البطريرك وأولئك الذين يتولون السلطة أي من قسطنطين السابع ورومانوس ليكابينوس ، الا ان الاخير كان في الواقع هو المتصرف في شئون الحكم ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 100, p. 370;

Grumel, **Les Regestes**, nos. 667, 668, pp. 168-169.

٥ ـ **Syntagma (RP)**, V, p. 6; Grumel, **Les Regestes**, no. 666, p. 168.

ولا يوجد دليل واحد على أن هذا المجمع العام للكنيسة البيزنطية قد حضره مندوبون عن البابا يوحنا العاشر (٩١٤ ـ ٩٢٨م) كما يعتقد بعض المؤرخين الحديثين خطأ في دراساتهم التالية :

Dvornik, **Constantinople and Rome**, p. 456; Grégoire, **Macedonians**, p. 137; Ostrogorsky, **State**, p. 271.

وكذلك ، الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

٦ – **Theoph. Cont.**, p. 398; **Sym. Mag.**, p. 731; **G. Mon. Cont.** pp. 890-891; **Leo Gramm.**, p. 504; **Scylitzes**, p. 213.

٧ – انظر النص الكامل لوثيقة كتاب الاتحاد **Tomus Unionis** في : **Syntagma (RP)**, V, pp. 4-9; **JGR (Lingenthal)**, III, pp. 228-232; **JGR (Zepos)**, I, pp. 193-196.

وانظر أيضا :

Grumel, **Les Regestes**, no. 669, pp. 169-171.

ويتضح من نص هذه الوثيقة أن رومانوس ليكابينوس لم يكن قد توج بعد امبراطورا مشاركا ، اذ كان يحمل لقب «والد الامبراطور» Basileopator فقط .

٨ – **Syntagma (RP)**, V, p. 6; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 238.

وانظر أيضا : أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٢٤ ، محمود سعيد عمران : نيقولا مستيقوس ، ص ٢٧ .

٩ – **Syntagma (RP)**, V, p. 6.

١٠ – وتجدر الاشارة الى أن الانتهاك الوحيد لهذا التشريع في الكنيسة الارثوذكسية حدث في روسيا القيصرية عندما قام القيصر ايفان الرابع Ivan IV المعروف بالرهيب (١٥٤٧ – ١٥٨٤م) بعقد زواج رابع . واضطرت الكنيسة الارثوذكسية الى التسامح فيه بعد أن فرضت عليه الحرمان ، انظر :

Joyce, **Christian Marriage**, p. 599; Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage**, Col. 2328.

١١ – **Syntagma (RP)**, V, p. 7.

وقارن أيضا : أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٢٤ ، محمود سعيد عمران : نيقولا مستيقوس ، ص ٢٧ .

١٢ – **Syntagma (RP)**, V, p. 8; Cf. Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 238.

١٣ ـ للمزيد عن مدى التزام الكنيسة بالقيود الواردة فى وثيقة «كتاب الاتحاد» بالنسبة للزواج الثالث ، انظر :

Zhishman, **Das Eherecht**, II, p. 128-130.

١٤ ـ **Syntagma (RP)**, V, pp.8-9. Cf.Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 238.

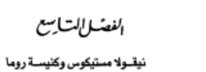
١٥ ـ Kougeas, **Kaisareias Arethas**, pp. 14, 17.

١٦ ـ **De Caerim.**, I, pp. 186-187.

١٧ ـ قارن :

Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 239.





الفصل التاسع

نيقـولا مستيكوس وكنيسـة روما



حرص نيقولا مستيكوس بعد عودة الوحدة الى الكنيسة البيزنطية على تحصين علاقته بروما • وكانت العلاقة بين الكنيستين قد توترت عقب عزل البطريرك ايثيميوس • وزاد من تدهورها تلك الرسالة شديدة اللهجة التي أرسلها نيقولا مستيكوس في النصف الثاني من سنة ٩١٢م الى البابا أنستاسيوس الثالث (٩١١ — ٩١٣م) الذي خلف سرجيوس الثالث (٩٠٤ — ٩١١م) على عرش البابوية • وكانت الرسالة عبارة عن مذكرة تفصيلية لابعاد أزمة الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس ودوره فيها • وتضمنت توجيه اللوم للبابا سرجيوس الثالث على تجاهله لنيقولا وتجاوز صلاحياته وتدخله المباشر في شئون الكنيسة البيزنطية، كما اشتملت على نقد لاذع لتأويل روما القوانين الكنسية واباحتها تكرار مرات الزواج • وفي نهاية الرسالة طالب نيقولا البابوية أن تتدارك خطأها قبل أن تصبح الزيجات الرابعة أمرا شائعا في المجتمع المسيحي وأن تعلن بطلان ما جرى في سنة ٩٠٧م وادانة أولئك الذين أدخلوا العار الى الكنيسة[1] • ولم يهتم البابا أنستاسيوس الثالث بالرد على هذه الرسالة • ويتضح من رسائل نيقولا التالية انقطاع العلاقة بين الكنيستين وقيام نيقولا مستيكوس بازالة اسم البابا من قائمة الدبتك diptyche المقدس لكنيسة القسطنطينية[2] •

على أية حال ، بعد اعلان وثيقة كتاب الاتحاد ، أرسل نيقولا مستيكوس في منتصف يوليو سنة ٩٢٠م رسالة جديدة الى البابا يوحنا العاشر (٩١٤ — ٩٢٨م) • وأشار نيقولا في رسالته الى عودة الوحدة والسلام الى الكنيسة البيزنطية وحث البابا على ارسال مبعوثين من طرفه الى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الكنيستين على أساس انكار شرعية الزواج للمرة الرابعة بصورة نهائية[3] • ومرة أخرى تجاهلت

البابوية هذه الرسالة أيضا • وفى سنة ٩٢١م أرسل الامبراطور رومانوس ليكابينوس والبطريرك نيقولا مستيكوس سفارة مشتركة ورسالتين الى بابا روما • وتتميز رسالة نيقولا بأسلوبها الاسترضائى ، فقد أكد حرصه على عودة الوئام والصفاء بين الكنيستين • واقترح اعادة ذكر اسم البابا فى قائمة الدبتك المقدس لكنيسة القسطنطينية فى مقابل موافقته على الاعتراف بأن الزواج الرابع ، وان تم التسامح فيه بشكل استثنائى لصالح الامبراطور ليو السادس لاعتبارات معينة ، فانه أمر لن تسمح به الكنيسة مرة أخرى فى المستقبل • وأوضح نيقولا أنه لم يعد يطلب بادانة من وافقوا على هذا الزواج من قبل ، وحث البابا على ارسال مبعوثيه الى العاصمة البيزنطية لتسوية المسألة على هذا النحو[٤] • ولم يكتف البطريرك بذلك بل قام بكتابة عدة رسائل أخرى فى نفس العام لبعض الشخصيات الهامة فى ايطاليا للضغط على البابوية لانهاء القطيعة وتسوية الخلاف مع كنيسة القسطنطينية[٥] •

ويبدو أن البابا يوحنا العاشر تسلم رسالة أخرى فى نفس العام من بطريرك القسطنطينية نقلها اليه اثنان من رجال الدين • ورغم أن نص هذه الرسالة لم يصل الينا ، الا أن نيقولا أشار اليها فى رسالة تالية أرسلها الى البابا نفسه فى النصف الثانى من سنة ٩٢٢م[٦] • وفى رسالته الاخيرة أكد من جديد على ضرورة انهاء القطيعة وعودة السلام بين الكنيستين ، وكرر طلبه وطلب الامبراطور ارسال مبعوثين من كنيسة روما الى القسطنطينية لعقد مجمع لتسوية الخلاف بين الكنيستين •

وفى النهاية أثمرت جهود البطريرك ، فقد أذعن البابا يوحنا العاشر لطالب القسطنطينية وأرسل اثنين من الاساقفة اللاتين هما ثيوفيلاكت Theophylact وكاروس Carus الى القسطنطينية فى ربيع سنة ٩٢٣م• ولا تمدنا المصادر بتفاصيل ما دار من مفاوضات بل أن كل ما نعرفه عن هذا الموضوع هو ما ورد فى رسالة من نيقولا مستيكوس الى سيمون

قيصر بلغاريا في نفس العام . ففي تلك الرسالة ذكر نيقولا أن مبعوثي البابا يوحنا العاشر حضرا الى القسطنطينية وأنه اجتمع بهما وتم الاتفاق على تسوية الخلاف القائم باعلان تحريم الزواج للمرة الرابعة وبذلك عاد السلام بين كنيستي القسطنطينية وروما[٧] .

ورغم ما يمثله هذا الاعــلان من تناقض مع ما هو معروف من موقف كنيسة روما التقليدي من مشروعية تكرار الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين ، فالمرجح أن هذه الرواية التى انفرد بطريرك القسطنطينية بتسجيلها صحيحة . فمن المحتمل أن البابا يوحنا العاشر أذعن لرغبة القسطنطينية على أمل الحصول على مساعدة عسكرية لمواجهة اغارات المسلمين على جنـــوب ايطاليا[٨] . كذلك يلاحـــظ أن القسطنطينية لم تعترض على قرارات مجمع سبالاتو Spalato سنة ٩٢٤م والتى نصت على عودة تبعية دالماشيا الى كنيسة روما[٩] . وكان الامبراطور ليـــو الثـــالث Leo III (٧١٧ ــ ٧٤١م) قد قام في سنة ٧٣٢م بفصل تبعية كنائس ولاية الليريا Illyricum بما في ذلك دالماشيا عن كنيسة روما وضمها الى كنيسة القسطنطينية[١٠] . ويعتقد بعض المؤرخين أن عودة تبعية دالماشيا الى البابوية كانت جزءا من اتفاق روما والقسطنطينية في سنة ٩٢٣م[١١] . على أية حال ، يجب أن ننظر الى هذه التسوية بين روما والقسطنطينية بخصوص تحريم الزواج الرابع على أنها اعلان غير ملزم للبابوية ، فلا أثر له في سجلاتها ، وأن تطبيقه اقتصر على بيزنطة وحـــدها .



حواشى الفصـــل التاسع

١ ـ انظر نص هذه الرسالة رقم (٣٢) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, 214-244;

Grumel, **Les Regestes**, no. 635, pp. 151-152.

٢ ـ قارن رسالة نيقولا مستيكوس رقم (٥٣) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 53, p. 288;

Grumel, **Les Regestes**, no. 675, pp. 173-174. Cf. Gay, **Nicolas le Mystique**, p. 98.

والدبتك **diptychs** عبارة عن قائمة بأسماء الأشخاص الذين يتردد ذكرهم والدعاء لهم فى الكنيسـة أثناء انشاد التراتيـل الدينية - وتتضمن القائمة أسماء أباطرة ، وبطاركة وأساقفة فضلا عن عدد من الشخصيات الرسمية والعامة الأخرى - ولا تتضمن القائمة أسماء هراطقة أو كنائس منشقة على القسطنطينية ، وللمزيد انظر :

Goar, **Euchologion**, pp. 62, 145.

٣ ـ انظر نص الرسالة رقم (٥٦) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 56, p. 298;

Grumel, **Les Regestes**, no. 671, p. 172.

٤ ـ انظر نص الرسالة رقم (٥٣) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 53, pp. 286- 292.

بالنسبة لرســالة رومانوس ليكابينوس التى تعكس اهتمامه باعادة السلام مع روما ، انظر :

Dölger, **Regesten (Kais)**, nos. 590-591, p. 71.

انظر أيضا :

Gay, **Nicolas le Mystique**, pp. 97-98.

٥ ـ انظر رسائل نيقولا مستيكوس أرقام (٥٤) ، (٥٥) ، (٨٣) ، (٨٤) ، فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 54, pp. 292-294; Ep. 55, pp. 294-298; Ep. 83, p. 342; Ep. 84, p. 344; Grumel, **Les Regestes**, nos, 696, 697, 700, 701, pp. 183-186.

٦ ـ انظر رسالة نيقولا مستيكوس رقم (٧٧) في :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 77, pp. 330-332; Grumel, **Les Regestes**, no. 711, pp. 192-193.

٧ ـ انظر رسالة نيقولا مستيكوس رقم (٢٨) في :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 28, p. 194; Grumel, **Les Regestes**, no. 712, pp. 193-194.

٨ ـ قارن :

Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 189.

وكانت البابوية قد حصلت على مساعدات عسكرية بيزنطية في مناسبات مختلفة ، انظر :

Gay, **Italie Méridionale**, I, pp. 161, 206-208.

٩ ـ Jaffé, **Regesta**, nos, 3571-3572, I, p. 452.

١٠ ـ Anastos, **Transfer of Illyricum** pp. 14-31; Anastos, **Iconoclasm**, pp. 71-72.

ويرى الأستاذ جروميل ان ضم كنائس الليريا وصقلية وكالابريا الى القسطنطينية حدث في عهد الامبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ ـ ٧٧٥م) ، انظر :

Grumel, **Annexion de l'Illyricum**, pp. 191-193.

وانظر أيضا :

Toynbee, **Constantine**, pp. 356, 489.

١١ ـ Every, **Byzantine Patriarchate**, p. 134.

خاتمـــة

كان النزاع الذى اثاره الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس وما ترتب عليه من انقســام فى الكنيسة مشكلة عانى منهــا المجتمع البيزنطى ، لان انتهاك تعاليم الكنيسة فى الزواج وشرعية العلاقة بين الرجل والمرأة كانت من قضايا السلوك الاجتماعى العام التى تؤثر فى حياة الملايين من البشر • ولكن المشكلة كان لها بالاضافة الى الابعاد الدينية دلالة سياسية هامة تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة والكنيسة فى بيزنطة • فبعد الاعتراف بالمسيحية فى القرن الرابع الميلادى حدث تغير فى مفهوم مكانة الامبراطور ، فلم يعد بامكان المسيحين اعتباره مقدسا بل اعتبروه رجلا اختارته المشيئة الالهية ليكون ممثل الرب على الارض • وبهذا التصور أصبح الامبراطور فوق سائر البشر ، وأحاط نفسه بطقوس احتفالية صارمة تذكرنا بطقوس العبادة فى الكنيسة • ولما كان الامبراطور ممثل الرب ، كان من الطبيعى أن تربطــه علاقة خاصة بالكنيسة •

لقد حدد الامبراطور قسطنطين الكبير فى القرن الرابع أبعاد هذه العلاقة عندما أدخل الكنيسة داخل اطار الدولة لتصبح «كنيسة الدولة» • فالكنيسة لا تخضع فقط لحماية الدولة بل تتبع توجهاتها أيضا • وبهذا التحديد ارتفع الامبراطور البيزنطى فوق الكنيسة ، وأعطاه هذا المركز عددا من الامتيازات الخاصة ، فهو يدعو المجــامع الدينية للانعقاد ويترأسها بنفسه أو من ينوب عنه من كبار موظفيه ، ويصـــدق على قراراتها ويصدرها فى صورة مراسيم • كما يصدر أحكامه الشخصية فى أمور السلوك العام والعبادة فى اطار روح العقيدة المسيحية • وله أن يؤسس دوائر أسقفية جديدة ، ويرفع من درجة ومكانة دوائر أخرى

قائمة ، كما كان له تأثير حاسم فى اختيار البطريرك • وهيمنة الاباطرة على الكنيسة هى التى تمت صياغتها فى مصطلح «القيصرية ـ البابوية Caesaro Papism »[١] •

ومع أن البطريرك كان من الناحية السياسية مواطنا بيزنطيا ، فانه كان مستقلا الى حد بعيد فى تصريف الشئون الدينية • وكانت الدولة مطالبة بأن تساعد الكنيسة فى اقرار قواعد السلوك المتعارف عليها ، فاذا قام أحد الاباطرة بانتهـاك هذه القواعد لم تكن الكنيسة تقف أمامه مستسلمة • ويمكن القول أنه فى ثلاث مناسبات على امتداد نصف قرن امتلك بطريرك القسطنطينية الشجاعة وأصدر قرارا بحرمان قيصر أو امبراطور من دخول الكنيسة لحضور القداس الدينى كعقاب لاقترافه جريمة أو لانتهاكه قواعد الاخلاق العامة • ففى سنة ٨٥٨م أصـدر البطريرك اجناتيوس قرار الحرمان ضد القيصر برداس لان الاخير أقام علاقة محرمة مع زوجة ابنه[٢] • وفى سنة ٨٦٧م أصدر البطريرك فوتيوس قرار الحرمان ضـد الامبراطور باسيل الاول المقـدونى لقيامه بقتل الامبراطور ميخائيل الثالث[٣] • وأخيرا قام البطريرك نيقولا مستيكوس فى سنة ٩٠٦م باصدار قرار الحرمان ضد الامبراطور ليو السادس لانه عقد زواجا رابعا محرما[٤] • وفى جميع هذه الحالات طبقت الكنيسة القانون الكنسى على الحكام وأنزلت بهم العقوبات الروحية المناسبة • وكان هذا هو أقصى ما استطاعت الكنيسة أن تذهب اليه وهى تحاول تأكيد استقلالها بالحـكم فى الشئون الدينية • ولكن فى جميـع تلك المناسبات دفع البطريرك الثمن بالعـزل من منصبه على يد القيصر أو الامبراطور الذى صدر ضده هذا الحرمان • على أية حال ، تجاوزت الكنيسة البيزنطية أزمة الزواج الرابع للامبراطور ليـو السادس فى حدود الخيارات المتاحة أمامها فى ظل هيمنة الدولة • ولم يكن أمامها الا أن تتسامح فيه على أنه حالة استثنائية فرضتها اعتبـارات انسانية وضرورات سياسية من أجل استمرار بقاء الاسرة المقدونية • هكذا نال

قسطنطين السابع الشرعية رغم أنه ابن غير شرعي واستمر الحكم في أسرته حتى سنة ١٠٥٦ م٠

وكان البطريرك نيقولا مستيكوس الشخصية الرئيسية في جميع مراحل تلك الازمة التي واجهها بشجاعة وتحمل في صبر وطأة مضاعفاتها في الداخل والخارج ٠ لقد حاول ابان بطريركيته الاولى أن يتجنب تفجر الازمة وانقسام الكنيسة ولكنه فشل ٠ أما في بطريركيته الثانية فقد نجح في علاج مضاعفاتها عندما حافظ على حقوق قسطنطين السابع بعد أن تمكن رومانوس ليكابينوس من اغتصاب السلطة ، كما نجح بالتعاون مع القصر في اعادة الوحدة للكنيسة البيزنطية ، والسلام مع روما ، والهدنة مع بلغاريا ٠ لقد توفى نيقولا مستيكوس في ١٩ من مايو سنة ٩٢٥م عن عمر يناهز الثالثة والسبعين بعد حياة حافلة حرص فيها على التمسك بتقاليد الكنيسة ٠ وبعد وفاته لم يكن جزافا أن يضاف اسمه الى قائمة القديسين في كنيسة القسطنطينية كما تم احياء ذكراه وتسجيل مآثره في كتب الادب الديني للكنيسة الارثوذكسية ٠



حواشى الخاتمة

١ – Herman, Secular Church, pp. 104-106.

وللمزيد عن مزاعم «القيصرية – البابوية» فى بيزنطة واختلاف تطور علاقة الكنيسة بالدولة فى الغرب الأوروبى ، انظر :

كانتور : التاريخ الوسيط قصة حضارة ، جـ ١ ، ص ١٢٧ – ١٣٦ .

٢ – G. Mon. Cont., p. 826; Theoph. Cont., pp. 193-195; Sym. Mag., pp. 667-668; Leo Gramm., p. 240.

٣ – G. Mon. Cont., p. 841; Sym. Mag., pp. 688-689; Leo Gramm. pp. 254-255; Zonaras, III, p. 418.

٤ – انظر الفصل الثانى ، حاشية (٣٨) . وانظر أيضاً :

Toynbee, Constantine, p. 356.



قائمـــــة

المصادر والمراجع والمختصرات الأجنبية(*)

(*) تقتصر هذه القائمة على المصادر والمراجع والمختصرات الأجنبية فقط ، أما المصادر والمراجع العربية والمعربة فقد سجلناها كاملة عند ذكرها أول مرة ضمن حواشى هذه الدراسة .



AAASH	Acta Antique Academiae Scientiarum Hungaricae,Budapest 1952ff.
Adontz,Basile I.	N.Adontz,'L'âge et l'origine de l'empereur Basil I.(867-886)';B, 8(1933),pp.475-500;9(1934),pp.223-260.
Adontz,L'Oraison Funèbre	N.Adontz,'La portée historique de l'Oraison funèbre de Basil I. par son fils Leon VI.l'Sage',B,8(1933), pp.501-513
Anastos, Iconoclasm	M.Anastos,'Iconoclasm and Imperial Rule 717-842',CMH,IV,Pt.1(1966), pp.61-104.
Anastos,Transfer of Illyricum	M.Anastos,'The Transfer of Illyricum,Calabria, and Sicily to the Jurisdiction of the Patriarchate of Constantinople in 732-33',SBN, 9(1957),pp.14-31.
Arethas, Scripta Minora	Arethae Archiepiscopi Caesariensis Scripta Minora,ed.L.G.Westerink (Leipzig, 1968-1972),2 vols.
AS	Acta Sanctorum, Antwerp 1643ff.
B	Byzantion, Bruxelles (Paris), 1924f
Basilicorum	Basilicorum Libri LX,Ser.A,edd.H.-J. Scheltema,N.Van der Wal (Groningen 1955-) vols. i-viii. Ser.B. edd. H.-J.Scheltema, D.Bolwerda, Scholia in Libri i-xlviii (Groningen,1954-69),13vols.
Bouscaren,Ellis, Korth, Canon Law	L.Bouscaren,A.Ellis,F.Korth, Canon Law:A Text and Commentary, 4th ed.(Milwaukee,1963).
Brèhier, Institutions	L.Brèhier, Les institutions de l'empire byzantin (Paris,1949). [=Le monde byzantin vol.II].
Browning, Correspondence	R.Browning,'The Correspondence of a Tenth Century Byzantine Scholar',B,24(1954),pp.397-452.
BSl	Byzantinoslavica, Prague 1929ff.

Buckler, Women in Byz. Law — G.Buckler, 'Women in Byzantine Law about 1100 A.D.', BJ 11(1936), pp.391-416.

Bury, Admin.System — J.B.Bury, The Imperial Administrative System in the Ninth Century, with a Revised Text of the Kletorologion of Philotheos (London, 1911).

BZ — Byzantinische Zeitschrift, (Leipzig) München 1892ff.

Canard, Deux Épisodes — M.Canard, 'Deux épisodes des relations diplomatiques arabobyzantines au X^{e} siècle', Bull.d'Et.Or.de l'Inst.fr.de Damas, 13(1949-50), pp.51-69.

CFHB — Corpus Fontium Historiae Byzantinae, Washington 1967ff.

Chrysos, Die Krönung Symeons — E.Chrysos, 'Die Krönung Symeons im Hebdomon', Cyrillomethodianum, 3(1975), pp.169-193.

CMH — Cambridge Medieval History, Vol. IV., 2nd revised edn. J.M.Hussey (Cambridge, 1966-67).

Codex Justinianus — Codex Justinianus, ed.P.Krüger in: Corp.Jur.Civil., vol.II (Berlin, 1963).

Codex Theodosianus — Codex Theodosianus: Theodosiani Libri XVI Cum Constitutionibus Sirmondianis, edd.T.Mommsen, P. Meyer et al. (Berlin, 1905).

Constantinides, Nikolaos ho Mystikos — J.Constantinides, Nikolaos I. ho Mystikos (Ca.852-925) Patriarches Konstantinopoleos (901-907, 912-925). Symbule eis ten ekklesiastiken kai Politiken historian tou a tetartou 10 A.D. [illegible] (Athens, 1967).

Corbett, Roman Law of Marriage — P.Corbett, The Roman Law of Marriage (Oxford, 1930).

Corp.Jur.Civil. — Corpus Juris Civilis, edd.T.Mommsen, P.Krüger, R.Schöll, W.Kroll (Berlin, 1892-95). Reprint (Berlin, 1945-1963), 3vols.

CSHB	Corpus scriptorum historiae Byzantinae (Bonn 1828-1897).
Da Costa-Louillet Saints	G.Da Costa-Louillet,'Saints de Constantinople aux VIII^e, IX^e et X^e siècles',B,24(1954),pp.179-263, 453-5·2; 25-27(1955-1957),pp. 783-852.
DAI	Constantine Porphyrogenitus,De Administrando Imperio, vol.I: Greek Text ed.G.Moravcsik,Eng. trans. by R.Jenkins(Budapest, 1949);vol.II:Commentary ed.R. Jenkins and others (London, 1962).
DDC	Dictionnaire de Droit Canonique, ed.R.Naz,Paris, 1935ff.
De Caerim	Constantini Porphyrogeniti imperatoris De Cerimoniis aulae byzantinae,ed.I.Reiske (CSHB, Bonn 1829-30),2 vols.
Diehl, Byzantine Portraits	C.Diehl,Byzantine Portraits,trans. by H.Bell (New York,1927).
Dölger, Byzanz	F.Dölger,Byzanz und die Europäische Staatenwelt (Ettal,1953) Darmstadt 1964)
Dölger, Regesten (Kais)	F.Dölger,Regesten der Kaiserurkunden des Oströmischen Reiches von 565-1453 (München /Berlin, 1924-1965),5vols.
DOP	Dumbarton Oaks Papers (Cambridge/ Mass.) Washington 1941 ff.
DTC	Dictionnaire de Théologie Catholique ed. A.Vacant,E.Mangeot,et al.(Paris,1905-50),15 vols.
Dvornik, Constantinople and Rome	F.Dvornik,'Constantinople and Rome' CMH,IV,Pt.1(1966),pp.431-472-.
Dvornik,Photian Schism	F.Dvornik, The Photian schism: History and Legend(Cambridge, 1948).

Dvornik, *Second Schisme*	F.Dvornik,'Le second schisme de Photios.Une mystification historique',*B*,8(1933),pp.425-474.
Ebersolt,*Sainte-Sophie*	J.Ebersolt,*Sainte-Sophie de Constantinople:Étude de topographie d'après les Cérémonies* (Paris, 1910).
Ecloga	*Ekloge ton Nomon:Ecloga Legum Leonis et Constantini*,ed.K.E. Zachariae von Lingenthal,in: *Collectio Librorum Iuris Graeco-Romani*(Leipzig,1852),pp.1-52; Reprinted in:*JGR(Zepos)*,II,pp. 1-62.
EHR	English Historical Review,London 1886 ff.
EO	Échos d'Orient,1-39,Paris(Constantinople/Bucarest)1897-1942.
Ephraemius	Ephraemii Monachi,*Imperatorum et Patriarcharum*,ed.I.Bekker(*CSHB*, Bonn 1840).
ERE	Encyclopaedia of Religion and Ethics ed. J.Hastings, et al.
Every,*Byzantine Patriarchate*	G.Every, *The Byzantine Patriarchate 451-1204 A.D.*(London,1962).
Fischer, *De Patriarcharum*	F.Fischer,'De patriarcharum Constantinoplitanorum Catalogis', *Commentationes Philologae Ienenses*,3(1884),pp.263-333.
Fulton,*Laws of Marriage*	J.Fulton, *The Laws of Marriage* (London,1883).
G.Mon.Cont.	*Georgius Monachus Continuatus, Vita recentiorum imperatorum*, ed.I.Bekker in:*Theoph.Cont.* (*CSHB*,Bonn 1838),pp.761-924.
Gay,*Italie Méridionale*	J.Gay,*L'Italie méridionale et l'Empire byzantin depuis l'avènement de Basile Ier jusqu'a la prise de Bari par les Normands (867-1071)* (Paris,1909),2vols.

Gay, Nicolas le Mystique	J.Gay,'Le Patriarche Nicolas le Mystique et son rôle politique', Mélanges Charles Diehl (Paris, 1930), I, pp. 91-100.
Girard, Droit Romain	P.Girard, Manuel élémentaire de droit romain (Paris, 1924).
Goar, Euchologion	J.Goar, Euchologion Sive Rituale Graecorum (Graz, 1960).
Godefroy, Le Bras, Jugie, Mariage	L.Godefroy, G.Le Bras, M.Jugie, 'Mariage' DTC, 9, Pt.II (1927), cols. 2044-2335.
GOTR	Greek Orthodox Theological Review, Brookline/Mass., 1954ff.
Grégoire, Âge Héroïque	H.Grégoire, 'L'âge héroïque de Byzance', Mélange offerts à N. Jorga (Paris, 1933), pp. 383-397.
Grégoire, Macedonians	H.Grégoire, 'The Amorians and the Macedonians 842-1025', CMH, IV, Pt. 1 (1966), pp. 105-192.
Grégoire, Neuvième Siècle	H.Grégoire, 'Études sur le neuvième siècl B, 8 (1933), pp. 515-550.
Grierson and Jenkins, Coronation	P.Grierson and R.Jenkins, 'The Date of Constantine VII's Coronation', B, 32 (1962), pp. 133-138.
Grumel, Annexion de l'Illyricum	V.Grumel, 'L'annexion de l'Illyricum oriental, de la Sicile et de la Calabre au Patriarcat de Constantinople', Recherches de sciences religieuses, XL. Mélanges Jules Lebreton, II (1952), pp. 191-200.
Grumel, La Chronologie	V.Grumel, La Chronologie (Traité d'études byzantines, ed. P. Lemerle, I.) (Paris, 1958).
Grumel, Les Regestes	V.Grumel, Les Regestes des Actes du Patriarcat de Constantinople, Vol. I: Les Actes des Patriarches, fasc. I: 381-715; II: 715-1043; III: 1043-1206 (Socii Assumptionistae Chalcedonenses, 1932, 1936, 1947).

Grumel, Notes	V.Grumel,'Notes de chronologie byzantine',EO,35(1936),pp.331-335.
Grumel,Règne de Léon VI	V.Grumel,'La Chronologie des événements du règne de Léon VI(886-912)',EO, 35(1936),pp. 5-42.
Guilland,Les Noces	R.Guilland,'Les noces plurales à Byzance', BSl 9(1947-48),pp. 9-30.
Hajjar,Synode Permanent	J.Hajjar,Le synode permanent (Synodos Endemousa)dans l'église byzantine des origines au XI siècle (OCA,164)(Rome,1962).
Halkin,Bibliotheca	Bibliotheca hagiographica graeca (Subsidia hagiographica,8a),3rd ed.F.Halkin(Bruxelles,1957),3vols.
Halkin,Trois Dates	F.Halkin,'Trois dates historiques précisées grâce au synaxaire',B, 24(1954),pp.7-17.
Hergenröther, Photius	J.Hergenröther,Photius,Patriarch von Konstantinopel:sein Leben, seine Schriften und das griechische Schisma (Regensburg, 1867-69),3vols.
Herman, Digamon	E.Herman,'Eyche epi Digamon', OCP,I(1935),pp.467-489).
Herman, Secular Church	E.Herman,'The Secular Church', CMH,IV,Pt.2(1967),pp.104-133.
Iuris Ecclesiastici	Iuris ecclesiastici Graecorum historia et monumenta,ed.I. Pitra (Rome,1864-68),2vols.
Jaffé,Regesta	P.Jaffé,Regesta Pontificum Romanorum ab condita ecclesia ad annum post Christum natum 1198 (Berlin,1851);2nd ed.W.Wattenbach and others (Leipzig,1885-88), 2vols.
Janin, Constantinople	R.Janin, Constantinople byzantine: développement urbain et répertoire topographique (Paris,1950).

Janin, Hiéria	R.Janin,'La banlieue asiatique de Constantinople:Hiéria (Féner-Bagtché)', EO,22(1923),pp.50-58.
Janin,Samonas	R.Janin, 'Un Arabe ministre à Byzance: Samonas (IX^e-X^e siècle)', EO,34(1935),pp.307-318.
Jenkins,Chronological Accuracy	R.Jenkins,'The Chronological Accuracy of the "Logothete" for the years A.D.867-913',DOP,19 (1965),pp.91-112.
Jenkins, Consolatio	R.Jenkins,'A"Consolatio"of the Patriarch Nicholas Mysticus',B, 35 (1965),pp.159-166.
Jenkins,Flight of Samonas	R.Jenkins,'The Flight of Samonas', Speculum,23/2(1948),pp.217-235.
Jenkins, Imperial Centuries	R.Jenkins, Byzantium: The Imperial Centuries A.D.610-1071 (London, 1966).
Jenkins, Leo Choerosphactes	R.Jenkins,'Leo Choerosphactes the Saracen Vizier', RTIEB,8(1963) p.167-175.
Jenkins, Letter to the Emir	R.Jenkins,'A Note on the "Letter to the Emir" of Nicholas Mysticus', DOP, 17(1963),pp.399-401.
Jenkins, Nicholas Mysticus	R.Jenkins,'A Note on the Patriarch Nicholas Mysticus',AAASH, 11(1963), pp.145-147.
Jenkins, Tetragamy	R.Jenkins,'Three Documents concerning the "Tetragamy",DOP,16(1962), pp.229-241.
Jenkins and Laourdas, Letters of Arethas	R.Jenkins and B.Laourdas,'Eight Letters of Arethas on the Fourth Marriage of Leo the Wise', Hellenika, 14(1956),pp.293-372.
Jenkins, Laourdas, Mango,Nine Orations	R.Jenkins,B.Laourdas,C.Mango,'Nine Orations of Arethas from Cod.Marc. Gr. 524',BZ,47(1954),pp.1-40.
JGR(Lingenthal)	Jus Graeco-Romanum,ed.C.E.Zachariae von Lingenthal,Part III:Novellae Constitutiones (Leipzig,1857), pp.220-318.

JGR (Zepos)	Jus Graeco-Romanum, edd.I. and P. Zepos (Athens,1931),8vols.
JÖB	Jahrbuch der Österreichischen Byzantinistik,18-Wien(Köln/Graz), 1969ff.
Joyce,Christian Marriage	G.Joyce,Christian Marriage:A Historical and Doctrinal Study, 2nd ed.(London,1948).
JTS	Journal of Theological Studies, London 1900ff.
Jugie, Notes	M.Jugie,'Notes de litérature byzantine',EO,26(1927),pp,408-425
Jugie, Vie d'Euthyme	M.Jugie,'La Vie et les oeuvres d'Euthyme Patriarche de Constantinople', EO,16(1913),pp.385-395.
Just.,Nov.	Iustiniani Novellae, ed.R.Schöll In: Corp.Jur.Civil.,vol.III (Berlin,1963).
Karlin-Hayter, Alexander's Bad Name	P.Karlin-Hayter,'The Emperor Alexander's Bad Name',Speculum,44 (1969),pp.585-596.
Karlin-Hayter, Andronicus Ducas	P.Karlin-Hayter,'The Revolt of Andronicus Ducas',BSl,27(1966) pp.23-25.
Karlin-Hayter, Arethas Documents III.	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Documents III',B,32(1962),pp. 117-127.
Karlin-Hayter, Arethas Documents IV	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Documents IV',B,32(1962),pp.387-487.
Karlin-Hayter, Arethas Documents V	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Documents V',B,34(1964),pp.49-67.
Karlin-Hayter, Basileopator	P.Karlin-Hayter,'The Title or office of Basileopator',B,38 (1968),pp.278-280.
Karlin-Hayter, Mort de Théophano	P.Karlin-Hayter,'La mort de Théophano (10.11.896 ou 895)', BZ,62(1969),pp.13-19.

Karlin-Hayter, New Arethas Texts	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Texts for the Historical study of the Vita Euthymii',B,31(1961),pp.273-307.
Karlin-Hayter,Para Koimomène Constantin	P.Karlin-Hayter,'Le Parakoimomène Constantin l'Eunuque était Euthymien', B,33(1963),pp.251-252.
Karlin-Hayter, Prèhistoire	P.Karlin-Hayter,'La "prèhistoire" de la dernière volonté de Léon VI', B,33(1963),pp.483-486.
Karlin-Hayter, Synode	P.Karlin-Hayter,'Le synode à Constantinople de 886 à 912 et le rôle de Nicolas le Mystique dans l'affaire de la tetragamie', JÖB,19(1970),pp.59-101.
Karlin-Hayter, Texts	P.Karlin-Hayter,'Texts for the Historical Study of the "Vita Euthymii",B,28(1958),pp.363-389.
Karlin-Hayter, Vita S. Euthymii	P.Karlin-Hayter,'Vita S.Euthymii', B,25-27(1955-1957),pp.1-172, 747-778.
Kolias,Leon Choerosphactès	G.kolias, Léon Choerosphactès magistre, proconsul et patrice: Biographie-Correspondance (texte et Traduction)(Athens, 1939). [=Texte und Forschungen zur Byzantinisch-Neugriechischen Philologie.Nr31].
Kougeas,Kaisareias Arethas	S.Kougeas,ho Kaisareias Arethas Kai to Ergon autou:Symbole eis ten historian tes protes anagenneseos ton ellenikon grammaton en Byzantio (Athens,1913).
Lambros and Kougeas Epistole Niketa	S.Lambros and S.Kougeas,'Anonymos Epistole Niketa tou Paphlagonos pros Arethan ton Kaisareias', Neos Hellenomnemon,8(1911),pp.301-314.
Leo Gramm.	Leonis Grammatici Chronographia, ed.I.Bekker (CSHB,Bonn 1842).

Loud, Coronation of Symeon	G.Loud,'A re-examination of the "Coronation" of Symeon of Bulgaria in 913', JTS, 29(1978), pp.109-120.
Maas, Der Interpolator	P.Maas,'Der Interpolator des Philotheos', BZ, 34(1934), pp.257-261.
Mango, Homilies of Photius	The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople, Eng.trans., introduction and commentary by C. Mango (Cambridge/Mass.1958). [=Dumbarton Oaks Studies, III].
Mavrogordato, Digenes Akrites	J. Mavrogordato, Digenes Akrites (Oxford, 1956).
Meyendorff, Marriage	J.Meyendorff, Marriage: An Orthodox Perspective (New York, 1970).
Meyendorff, Paschal Mystery	J.Meyendorff, 'Marriage-A Paschal Mystery', Concern, IV/2(1969), pp. 11-14.
Milaš, Das Kirchenrecht	N.Milaš, Das Kirchenrecht der morgenländischen Kirche, 2nd ed. (Mostar, 1905). Greek trans. by M. Apostolopoulos (Athens, 1906).
Naz, Mariage en Droit Occidental	R.Naz, 'Mariage en droit occidental', DDC, VI(1957), Cols. 740-787.
Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters	Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, ed. and trans. R. Jenkins & L.Westerink (CFHB 6, Dumbarton Oaks, Washington 1973).
Nomocanon	Nomocanon XIV Titulorum, in: Syntagma (RP), Vol.I, pp.1-335.
Novellae Leonis	Les Novelles de Léon VI le Sage, ed. et trad. A.Dain, P.Noailles (Paris, 1944).
OCA	Orientalia Christiana Analecta, Rome 1923ff.
OCP	Orientalia Christiana Periodica, Rome 1935ff.

Ohnsorge, Abendland und Byzanz	W.Ohnsorge, Abendland und Byzanz (Darmstadt, 1963).
Ohnsorge, Töchter Kaiser Leons VI.	W.Ohnsorge, 'Zur Frage der Töchter Kaiser Leons VI', BZ, 51 (1958), pp. 78-81.
Oikonomidès, Dernière Volonté	N.Oikonomidès, 'La dernière volonté de Léon VI au sujet de la tétragamie', BZ, 56 (1963), pp. 46-52.
Oikonomidès, Préhistoire de la dernière Volonté.	N.Oikonomidès, 'La "Préhistoire" de la dernière volonté de Léon VI au sujet de la tétragamie', BZ, 56 (1963), pp. 265-270.
Oikonomidès, Préséance	N.Oikonomidès, Les Listes de préséance byzantines des IX et X siècles (Paris, 1972).
Ostrogorsky, State	G.Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Eng. trans. J. Hussey (Oxford, 1968).
Patrinacos, Character of Marriage	N.Patrinacos, 'The Sacramental Character of Marriage: A Study of the Practice of the Greek Orthodox Church on the Basis of St.Paul's Theology of Marriage', GOTR, I/2 (1955), pp. 118-132.
PB	Poikila Byzantina, Berlin 1981ff.
Petit, Homélies de Léon le Sage	L.Petit, 'Note sur les homélies de Léon le Sage', EO, 3 (1900), pp. 245-249.
PG	Patrologiae Cursus Completus, series Graeco-Latina, ed. J.P. Migne (Paris, 1857-1866; 1880-1903). 161 vols.
Picot, Mariage Romain	J.Picot, Du mariage romain, chrétien et français (Paris, 1849).
PL	Patrologiae Cursus Completus, series Latina, ed. J.P. Migne (Paris, 1844-1855; 1862-1864), 221 vols.

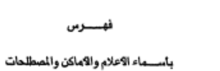
Polemis, The Doukai	D.Polemis, The Doukai:A contribution to Byzantine Prosopography(London, 1968).
Popov, Imperator Leo VI	N.Popov, Imperator Leo VI i ego pravlenie V Cherkovnom otnoshenii (Moscow,1892).
Pospishil, Divorce and Remarriage	V.Pospishil, Divorce and Remarriage: Towards a New Catholic Teaching (New York,1967).
Previté-Orton, Charles Constantine	C.Previté-Orton,'Charles Constantine of Vienne', EHR,29(1914),pp. 703-706.
Prochiron	Ho Procheiros Nomos.Imperatorum Basilii, Constantini et Leonis Prochiron,ed.K.E.Zachariae von Lingenthal (Heidelberg, 1837). Reprinted in:JGR(zepos),II, pp.108-228.
Psellos, Chronographie	M.Psellos, Chronographie,ed.F. Renauld(Paris,1926-28),2vols.
Ramsay, Historical Geography	W.Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor(London 1890/ Amsterdam 1962).
RH	Revue Historique,Paris 1876ff.
Ritzer, Le Mariage	K.Ritzer, Le mariage dans les églises chrétiennes du I.^{er} au XI^{e} siècles (Paris,1970).
Rivers, Marriage	W.Rivers,et al.,'Marriage',ERE, 8(1951),pp.423-472.
RTIEB	Reçueil de Travaux de l'Institut d'Etudes Byzantines (Mélanges G.Ostrogorsky I),Belgrade 1955ff.
Runciman, Romanus Lecapenus	S.Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign:A study of Tenth-Century Byzantium(Cambridge, 1963).
Salaville, Léon VI Le Sage	S.Salaville,'Léon VI Le Sage', DTC,IX/1(1926),Cols.365-394.

SBN	Studi Bizantini e Neoellenici, Rome 1924ff.
Scylitzes	Ioannis Scylitzae Synopsis Historiarum,ed.I.Thurn(CFHB 5,Berlin/New York 1973).
Serruya,Homélies de Léon Le Sage	D.Serruya,'Les homélies de Léon le Sage',BZ,12(1903),pp.167-170.
Ševčenko,Poems	I.Ševčenko,'Poems on the Deaths of Leo VI and Constantine VII in the Madrid Manuscript of Scylitzes', DOP,23-24(1969-1970),pp. 185-228.
Speck,Das Geteilte Dossier	P.Speck,Das geteilte Dossier: Beobachtungen zu den Nachrichten über die Regierung des Kaisers Herakleios und die seiner Söhne (PB 9,Bonn 1988).
Stephani Papae V Epistolae	Stephani Papae V.Epistolae, Diplomata et Privilegia,ed. J.P.Migne in:PL,129, Ep.IV, cols.795-796.
Sym.Mag.	(=Pseudo Symeon) Symeonis Magistri et Logothetae Chronographia, ed.I.Bekker in: Theoph.Cont. (CSHB, Bonn 1838),pp.601-760.
Syntagma (RP)	Syntagma ton Theion Kai hieron Kanonon,edd.G.Rhalles,M.Potles (Athens,1852-59),6vols.
Theodori Studitarum Epistolae	Theodori Praepositi Studitarum Epistolae,ed.J.P.Migne in:PG,99, Cols.904-1669.
Theophanes	Theophanis Chronographia,ed.C. De Boor (Leipzig,1883-85),2vols.
Theoph.Cont.	Theophanes Continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister,Georgius Monachus Continuatus,ed.I. Bekker(CSHB,Bonn 1838),pp.1-211; 354-481.
Toynbee,Constantine	A.Toynbee,Constantine Porphyrogenitus and His World (London,1973).

Underwood and Hawkins, Emperor Alexander	P.Underwood and E.Hawkins.'The Mosaics of Hagia Sophia at Istanbul the Portrait of the Emperor Alexander', DOP, 15(1961), pp.187-217.
Vasiliev, Byzantine Empire	A.A.Vasiliev, History of the Byzantine Empire 324-1453 A.D. (Madison, 1971-73), 2vols.
Vasiliev, Byzance et les Arabes	A.A.Vasiliev, Byzance et les Arabes i:La dynastie d'Amorius (820-867);ii: La dynastie Macédonienne(867-959).Ed.francaise par H.Grégoire, M.Canard(Corpus Bruxellense Hist.Byz.i,ii)(Bruxelles 1935,1950).
Villien, Divorce	A.Villien,'Divorce', DTC, IV, Pt.2 (1911), Cols.1455-1478.
Vita Antonii	Vita S.Antonii Patriarchae CP, AS Feb.II, pp.622-629.
Vita Basilii Junioris	Ex Basilii Junioris Vita, ed. J.P. Migne in:PG 109, cols.653-664.
Vita Euthymii	Vita Euthymii Patriarchae CP.: Text, Translation, Introduction and Commentary by P.Karlin-Hayter (Bruxelles, 1970). [=Bibliothèque de Byzantion 3].
Vita Sanctae Theophano	Vita Sanctae Theophano, ed.E.Kurtz in:Zwei griechische Texte über die heilige Theophano, die Gemahlin Kaisers Leo VI(St.Petersbourg, 1898). [=Mémoires de l'Académie Impérial des Sciences de St.Petersbourg, VIII^{e} série, Cl. historico-Philol., III/2].
Vogt, Léon VI	A.Vogt,'La jeunesse de Léon VI le Sage', RH, 174(1934), pp.389-428.
Vogt, Patriarches de Constantinople	A.Vogt,'Note sur la chronologie des Patriarches de Constantinople aux IX^{e} et X^{e} siècles', EO, 32(1933), pp.275-278.

White,Patriarch Photios	D.White,Patriarch Photios of Constantinople:His life, scholarly contributions, and correspondence together with a translation of fifty-two of his letters (Brookline/Mass.,1981).
Zhishman,Das Eherecht	J.Shishman,Das Eherecht der orientalichen Kirche (Vienna,1864), 3vols. Greek trans.with additions by M.Apostolopoulos (Athens,1912).
Zonaras	Ioannis Zonarae epitomae historiarum, edd. M.Pinder,T.Büttner-Wobst(CSHB, Bonn 1841-1897),3vols.





فهـــرس

بأســـماء الأعلام والأماكن والمصطلحات



(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ك)

(ل)

(م)

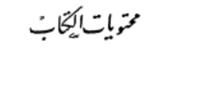
(ن)

(هـ)

(و)

(ى)




محتویات الکتاب





الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصـــل السابع

الفصـــل الثامن

الفصـــل التاسع





